مـفـهـوم الإقـتـصاد
القـومـي ألإجتمـاعي

نظرية النظام
الاقتصادي القومي الاجتماعي
عند أنطون سعاده

تمـهيد

ان أول ما يجـب ان نـنطـلق منه وبه وعلى ضـوئه هـو الوعي .
فاذا انعدم الوعيّ فلا سبيـل الى الاهتـداء الى بـداية صحيحة مفيدة ونـافعة .
فالغفلة والغفاوة حالة نوم ، واكثر ما يستطيعه النائم او الغافي هو الهذيان واضغاث الاحلام .
النـهضة القومية الاجتماعية هي يقظة ووعيّ ومعرفة وليست غفوة وهذيان وجهل . انـها حالة نـورانية جديدة وجيّدة اخرجتـنا من البلبلة والشك الى الوضوح واليقين .
الجهل مهوار غدار يشدنا الى السحيق العميق المظلم . والعلم منار كشـّاف ينيـر امامنا الطـريق الآمنة ، ويُسهّـل علينا السير والتقدم فنميّز بين ما هو مفـيد وما هـو مضر . وما هو ثابت وما هو متـغـيـر . وما هـو اساسي في الوجـود وبين ما هو ثانوي .
فاذا صح التبديـل والتغيـير في الثانـويات دون ان يُـؤثـر على

مسيرة الحياة الصاعدة ، فان أي تغيير أو تبديل في الاساسيات يُعطل مسيرة الحياة ويقودنا الى ما لا ينفعنا ولا يساعدنا على النهوض بحياتنا .
لذلك كان المبدأ الاقتصادي في المفهوم القومي الاجتماعي هو من ضمن المباديء الاصلاحية التي يمكن ان يجري عليها التبديل والتغيير والتعديل ، وليس من ضمن المباديء الاساسية على الر غم من ان المباديء الاساسية والاصلاحية وغاية الحركة السورية القومية الاجتماعية تُشكّل فلسفة قائمة بذاتها ، وعلى الرغم من اهمية الاقتصاد في حياة الامم .

وبناء على ما تقدم ،علينا ان نُميّز بين النظام الذي هو شيء عميق جداً في الحياة وبين التنظيم الخاضع للتبديل والتغيير والتعديل والتحسين .
وبهذا نكتشف ان مفهوم المعلم سعادة للاقتصاد هو مفهوم تنظيمي اقتصادي ينبثق من الفلسفة القومية الاجتماعية المجتمعية ، ويستند الى النظرة الانسانية الجديدة الى الحياة والكون والفن التي قال بها سعاده .
ولأن الاقتصاد هو شأن انساني ثقافي فانه يتحتم علينا ان نفهم اولاً نظرة سعاده الى الحياة الانسانية وفلسفته لنتمكن من فهم نظريته الاقتصادية أو مذهبه الاقتصادي بوضوح وجلاء .
لقد سمعنا مراراً من داخل الحزب ومن خارجه " انه ليس للحزب نظرية اقتصادية. وكل ما عندنا في الحزب هو افكار ومباديء اولية في الاقتصاد" مستندين بذلك الى كلام سعاده في ختام محاضرته الثامنة التي شرح فيها المبدأ الاصلاحي الرابع حيث قال : " ان ما أعطيَ الآن هو قواعد عامة ومعلومات أساسية لا غنى عنها فيما بعد الى النظر في أمور اختصاصية " متغافلين عن قوله في المحاضرة نفسها ان المحاضرات الاختصاصية في كل باب وناحية من نواحيه انما هي لإعطاء :

" صورة حقيقية عن النظام القومي الإجتماعي الاقتصادي" وهذا لا يجعل مجالاً للشك في ان للحزب نظامه الاقتصادي الخاص المنبثق من فلسفته . فلسفة الانسان ـ المجتمع المدرحية التي تسير نحوها البشرية بخطى حثيثة ،ولا شك ان الشعوب المتمدنة واصلة الى هذه الفلسفة وآخذة بها وعاملة بنظامها الاقتصادي . لأن هذه الفلسفة تشيرالى ارقى ما توصل اليه العقل البشري من ثورات اجتماعية . انها القمة التي نُشرف منها على العالم القادم عالم الإنسان ـ المجتمعي ـ العالمي العادل الراقي .

الفلسفة القومية الاجتماعية

الانسان هو مبدء هذه الفلسفة وغايتها . ومفهومها للإنسان هو مفهوم واقعي لا ينكمش فيكون فرداً ،ولا ينفلش فيصبح عالماً . انه كما هو على حقيقته انسان ـ مجتمع . انسان ـ أمة . في مجتمعيته تكمن انسانيته . وفي امته تتألق مدنيته وحضارته . والانسان ـ المجتمع ـ الأمة هذا لا ينشأ ولا ينمو ولا يستمر الا في بيئة طبيعية ، وعلى أرض معينة تُقدِّم له امكانات العيش والحياة هي وطنه الذي هو مسرح حركته واعماله عبر الزمن حيث يصنع تاريخه بابراز مواهبه وبلورة شخصيته الاجتماعية انه الانسان ـ المجتمع ـ الامة الذي تمتد جذوره في اعماق الماضي السحيق الذي يعود الى ماقبل التاريخ معبرة عن اصالته .
وتستمر عطاءاته في المستقبل الى ما لا نستطيع ادراكه . هذا الانسان ـ المجتمع هو القادر على استيعاب كل ما في الوجود من علم واسرار ، وهو القادر على تحسين الحياة ومستوى الحياة باجمل ما يمكن ان يكون من الابتكارات والابداعات،
وهو هونفسه الذي لامعنى ولا قيمة لأي شيء او فكر او نظام او حال ان لم يكن بهدف تقدمه ورقيه ، ورفاهيته وسعادته .

الاقتصاد لغة

قصد : استهدف . سار او عمل بقصد وهدف
قصد قصداً في مشيه يعني مشى مستويا . وقصد في الامر يعني ضد افرط.
اقتصد في الامر : ضد أفرط أي اتزن.
اقتصد في الانفاق : توسط بين التقتير والافراط
اقتصد في الامر : استقام

اقتصاد : ضد التفريط والهدر أي الإتزان ما بين الإدخار والتبذير
اقتصاد : تدبير النفقة . والتوسط او التوازن بين التبذير والتقتير

بعد هذه المقدمة يمكننا ان نباشر بشرح وتوضيح التنظيم القومي الاجتماعي الاقتصادي .
في حلقة سابقة لمجموعة من طلبة البكالوريا والفلسفة كانت مخصصة لشرح مبدأ الاقتصاد القومي الاجتماعي ،حاولت فيها ان تكون المحاضرة دراسة مقارنة بين النظامين اللذين يقومان على أساس النظرة الفردية الى الحياة الانسانية : الرأسمالية والاشتراكية الماركسية ، وبين النظام القومي الاجتماعي الذي يقوم على اساس النظرة الاجتماعية . اي بين فلسفة الانسان ـ الفرد وفلسفة الانسان ـ المجتمع .
وفي نهاية المحاضرة شكرني احد الطلبة الحضور على شرحي للنظرية الاقتصادية الماركسية وقال بانه درسها قبلا ، ولكنه لم يفهمها بهذا الوضوح الذي تميز به شرحي وتوضيحي لها .
ولهذا لن اكرر ما حصل في تلك المحاضرة لأن مهمتنا الاساسية هي توضيح فكرنا وفلسفتنا وتنظيمنا ومسؤوليتنا الكبرى هي شرح وتفسير وتوضيح نظرتنا الى الحياة والكون والفن وكل ما له علاقة بها ، وما نتج عنها ، وما يمكن ان ينتج من تنظيمات وتشريعات ونظريات . لقد استنفدت النظرة الفردية جميع

مضامينها ، واصبحت شيئا من التاريخ ولم يبق منها سوى الامراض التي سببتها ، والكوارث المدمرة للإنسانية التي تعاني منها الانسانية اليوم منتظرة الخلاص الآتي على ضوء وهدى فلسفة الانسان ـ المجتمع الذي يقول بالأساس المادي ـ الروحي أي المدرحي للإرتقاء الانساني .
ولهذا بالضبط سأبدأ محاضرتي بقراءة المبدأ الاصلاحي الرابع الذي يلخص نظريتنا ومفهومنا للاقتصاد وتنظيمه

"الغاء الاقطاع ، وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الانتاج ، وانصاف العمل، وصيانة مصلحة الأمة والدولة . "

ان المبدأ الاقتصادي الاصلاحي ليس منفصلا عن المباديء الاصلاحية الاخرى ، ولا المباديء الاصلاحية مستقلة عن المباديء الاساسية . بل ان جميع المباديء الاساسية والاصلاحية ومعها غاية الحزب تعبِّركلها عن حقيقة جوهرية واحدة هي حقيقة جعل قضية الامة السورية هي محور ومرتكز جميع المسائل والاغراض والمقاصد . ولذلك فان كل تنظيم سواء كان اجتماعيا او سياسيا او اقتصاديا او اداريا او ثقافيا او قانونيا او عسكريا ... يجب ان يكون لخدمة قضية الامة واعلاء شأنها وتحقيق رفاهيتها . وهذا ما عبَّرت عنه وهدفت اليه العقيدة السورية القومية الاجتماعية وقد ظهر كل ذلك جليا في تعاليمها منذ بداية التأسيس.
وقد أكد سعاده في مؤلفه " نشوء الأمم " **أن الرابطة الاقتصادية هي الرابطة الاجتماعية الأولى في حياة الانسان أو الأساس المادي الذي يقيم الانسان عليه عمرانه "**
ولذلك " **لا نستطيع ان نتصور مجتمعا يقوم على**

غير أساس التعاون الاقتصادي لسد الحاجة مداورة تعويضا عن نقص وجود المادة المحتاج اليها ."

وقال ايضا بهذا الخصوص في نفس المصدر " ان كيفية تركب الانسان تجعل حياته تتوقف على سد حاجاته مداورة أي بالعمل والواسطة . فهو دائما مضطر لأرضاء دافع الارتقاء والتعويض عما فقده من سرعة الجولان وقوة الوثب .... وهذا يتطلب منه التعاون في الصناعة وفي السعي لمطاردة الفريسة والايقاع بها وفي الزراعة " وقد أشار الى

ذك ابن خلدون في مقدمته الشهيرة قائلاً : " ان الاقتصاد هو نقطة الابتداء في بحث حالات الاجتماع "

ولما كان " التطور الاجتماعي هو دائما على نسبة التطور الاقتصادي " كما ذكر سعاده ، فان الاهتمام بموضوع الاقتصاد وتنظيمه على اسس علمية سليمة ، كان من الامور المهمة التي لاغنى عنها، ولا يجوز ان تبقى خارج تعاليم النهضة ومبادئها المحيية التي فيها وفي تحقيقها كل الخير والرفاهية للأمة .

أول ما يلفت الانتباه بعد الاطلاع على المبدأ الاقتصادي هو الفعل الهجومي الذي تميزت به الحركة السورية القومية الاجتماعية أي الثورية والهجومية وهذه الثورية تظهر جليا في العبارة الاولى التي هي :" إلغاء الإقطاع"

أولاً : الغاء الاقطاع

ان الحزب السوري القومي الاجتماعي كما عبر عنه مؤسس الحزب سعاده هو " فكرة وحركة تتناولان حياة أمة بأسرها "

وهو كما قال ايضاً : **"الحزب هـو نـور الامـة "** وهذا الحزب هو نهضة اي خروج من البلبلة والشك الى الوضوح واليقين . ورسالة هذا الحزب ومهمته الاساسية هي رفع مستوى حياة الامة واصلاح حالها . ولما كان الاقتصاد هو في طليعة الامور التي يجب اصلاحها وتنظيمها لمصلحة حياة الامة وقضيتها ورقيها ، فقد اقتضت البداية ان يزال الحيف والظلم عن قسم كبير من ابناء الامة يرزحون تحت وطأة الاقطاع . النظام الفردي الموروث من العهود الجائرة التي سببت للأمة الكثير الكثير من الويلات والمآسي . ان الامة هي ابناؤها وابناء الامة هم الامة ولا يعقل ان تقبل النهضة الجديدة باستعباد ابناء الامة لأبناء الامة . ان نهضة الامة هي نهضة حق وعدل لكل ابناء الامة . ومباديء نهضتها لا يجوز ولا يحق ان تكون الا لخير ورفاهية وحرية جميع ابنائها. ومبدأ الغاء الاقطاع هو مبدأ تحرير وتحرر . تحرير قسم كبير من الناس من الظلم والحيف والعوز . وتحرير الاقطاعيين المتسلطين المستبدين من نفسية الاستكبار والاستبداد . لتحل بين الجميع روح الاخوة القومية التي هي العامل الفعال والافعل في ازالة كل اسباب الكراهية والجفاء بين الاخوة الذين يجب ان يعملوا جميعا من اجل خير الامة ورفاهيتها وتحقيق مثلها العليا التي تنطوي على اجمل مثلهم واهدافهم .

لقد ذكر سعاده في مؤلفه نشوء الامم :" **انه اذا كانت الرابطة الاقتصادية اساس الرابطة الاجتماعية البشرية ، فالعمل ونظامه التعاوني مصدر نظام الاجتماع وأساس بناء المجتمع** . " لذلك فان العمل و نظام التعاون هو الاساس الذي يجب ان يقوم عليه ليس نظام الاجتماع وحسب ، بل نظام الاقتصاد ايضا ، وكل نظام او تنظيم له مساس بالحياة الاجتماعية ، وبناء المجتمع المتمدن الراقي . من هذا نفهم ان جميع المباديء الاساسية والاصلاحية وغاية الحزب هي مترابطة فيما بينها ، ولا يمكن الفصل

بينها ، بل هي متكاملة . وهي تصبح مبتورة مشلَّعة غير ذي قيمة او فائدة حين تنفصل عن بعضها . فالمجتمع وحدة حياة . وابناؤه يشتركون في حياة واحدة . واي امتياز للبعض منهم يؤدي الى خلخلة الوحدة الاجتماعية . كما ان اي تنافر بين ابناء المجتمع الواحد يؤدي الى التشرزم المفتت المدمر المميت . لذلك كان المبدأ الاصلاحي الثالث الذي يقول بازالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب هو مبدأ من صميم مبدأ الاقتصاد القومي الاجتماعي .

ان مبدأ الغاء الاقطاع يعني الغاء الاستبداد والطغيان والظلم ، ويعني ايضا مكافحة الخوف والجبن والذل . وعندما تسقط روحية الاستبداد وروحية الجبن في ابناء الامة تبدأ الحياة الجديدة الجيدة العزيزة ليستقيم قول المعلم سعاده : " **ان الحياة هي وقفة عز فقط** ."

ان وقفة العز لا تكون فقط في مواجهة الموت ، بل تكون قبل ذلك وفوق ذلك في اختيار الحياة العزيزة وممارسة الحياة العزيزة حتى ولو أدت الى مواجهة الموت والاستشهاد .

هكذا تتضح لنا بجلاء غاية الهجومية الثورية في مبدأ الغاء الاقطاع التي هي العدالة الاقتصادية – الحقوقية والتي لا تنفصل ابدا عن العدالة الاجتماعية – الحقوقية . لأن في العدالة الاجتماعية – الاقتصادية – الحقوقية يكمن ويتجلى مبدأ العز القومي الاجتماعي والرفاهية القومية الاجتماعية .

وليكن معلوما انه بدون ازالة جميع الحواجز بين ابناء الامة ، وبدون القضاء على حالة البؤس والحيف وجميع المفاهيم المرضية المادية والنفسية ، وبدون الهوية الجامعة لأبناء الامة ، وبدون ممارسة حياة العز القومي ،لايمكن ان يكون لنا اقتصاد سليم ، ولا يمكن فهم نظرية النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي وتحقيقه في حياتنا العملية.

لقد كانت ثورة سعاده واضحة ، بمبدأ الغاء الاقطاع، على عيشة العبودية الزرية التي يعيشها ابناء امتنا من المزارعين تحت سيطرة الاقطاعيين ، وهدفه كان دائما هو ازالة الحيف عنهم وتصفية وتغيير حالة الرق هذه التي تشمل الالوف والالوف من الفلاحين ، وتحرير الاقطاعيين من روحية الاستعلاء واستعباد اخوانهم ابناء أمتهم .

ثانياً : تنظيم الاقتصاد القومي

قال سعاده في محاضرته الثامنة التي تناول فيها شرح المبدأ الاقتصادي القومي الاجتماعي : " نحن نعتقد ان النظام السياسي الذي نحيا فيه ليس نظاما قوميا بالمعنى الصحيح . وان درسا اقتصاديا صحيحا من الوجهة القومية على اساس نظام سياسي لاقومي صحيح، هو درس عقيم لايمكن ان يعطي نتائج صحيحة " لذلك فان الارتباط وثيق بين النظام السياسي والنظام الاقتصادي .

فالنظام السياسي القائم على النظرة الفردية للإنسان قد يصلح في مطلق الحالات لقيام تنظيم اقتصادي فردي او عائلي او قبلي اوفئوي او طائفي او مجموع اكثري او اقلي . لكنه ابدا لايمكن ان يصلح اساسا لقيام تنظيم اقتصادي قومي اجتماعي . وقد كان واضحا سعاده ومصيبا حين قال : ان الاقتصاد كموضوع لأمة وشعب ، لايمكن ان ينظر اليه الا بالمنظار القومي ، الا بمنظار المجتمع الموحد ـ الأمة . أي بوجوب توفر النظام السياسي القومي الاجتماعي الذي يقوم على اساس النظرة المجتمعية للإنسان .

وعندما نقول بالنظرة المجتمعية ، فاننا نقول بحقيقة لا لبس فيها ولا تشويش . لأن النظام السياسي المنبثق عن النظرة القومية الاجتماعية هو نظام قومي اجتماعي . نظام يقوم على وحدة المجتمع ـ الامة ويهدف الى تحقيق خير الامة ورفاهيتها ، وان النظام الاقتصادي في هذه الحالة هو نظام قائم على اساس

وحدة المجتمع . وليس نظاما اقتصاديا فرديا او عائليا اوفئويا مجزئا وحدة المجتمع في الداخل ، ولا هو نظام اقتصادي تحالفي بين عدد من الشعوب والدول أو عالمي على الصعيد الخارجي .انه نظام اقتصادي قومي يشمل القوم كلهم في وطنهم . يشمل المجتمع بكليته الذي له دورته الاجتماعية الاقتصادية الحياتية التامة . اي ان قاعدته وحدة المجتمع ، ونطاقه دورة الحياة على كامل ارض الوطن ، وغايته مصلحة المجتمع التام التي هي الاعلى والاهم والتي تشمل جميع المصالح الاخرى من فردية وعائلية وقروية وفئوية واقلية واكثرية ... كما انها في الوقت نفسه مصلحة متناغمة مع مصالح المجتمعات الاخرى التي لا تتطاول ولا تعتدي على مصالح غيرها من المجتمعات ، ولا تقبل اعتداء المجتمعات الاخرى عليها . ورسالتها الانسانية هي رسالة التعاون مع غيرها من الأمم افادة واستفادة . عطاء واخذاً . لتوطيد العلاقات الدولية وتحسينها وترقيتها للوصول الى طور عالمي انساني تمدني يكون محطةً متقدّمة للإطلال على حياة انسانية افضل . ان النظام السياسي القائم على النظرة الفردية لا يصلح بالمطلق لقيام نظام اقتصادي قومي اجتماعي . لقد صلح ويصلح لقيام انظمة اقتصادية رأسمالية فردية واقطاعية وشركاتية واشتراكية عندما تحل الدولة مكان الفرد الرأسمالي او الاقطاعي او الشركة . والنزاع القائم حاليا هو بين رأسمالية شركة الدولة الاشتراكية ورأسمالية الشركات المتعددة الجنسيات التي باتت تحكم سيطرتها على الدول وخاصة الدول الضعيفة الفقيرة . لقد حلت اقطاعية الدول الاستعمارية محل الاقطاعية الفردية .

وما دامت الفلسفة الفردية هي المسيطرة في العالم ، فان نشوء النظام القومي الاجتماعي هو بعيد التحقيق . لأن الفلسفة الفردية لا تؤدي الا الى نظام سياسي فردي ونظام اقتصادي فردي ،يسيطر فيه الأفراد الراسماليون الفرديون في داخل

المجتمع او عصابة الرسماليين الفرديين الذين يسيطرون على سلطات الدولة ، او شركات الدول الرأسمالية الاستعمارية القائمة على اساس الفلسفة الفردية الانانية .
اما ما يسمى بالدول الضعيفة الفقيرة فانها ليست الا فروع ومكاتب لشركات اقتصادية احتكارية اقطاعية طبقية استبدادية تسلطية . ونظرية سعاده القومية الاجتماعية في الاقتصاد هي مفهوم تحرير الناس في كل الامم من السيطرة البغيضة المشحونة بالاطماع وحب التسلط الذي جعل الكثيرين من الناس في كل المجتمعات يرزحون تحت نير البطالة ، ويعيشون عيشة الرق والعبودية في مزارع ومصانع ومكاتب ومتاجر وبيوت المتسلطين على الثروات القومية والموارد الطبيعية والرساميل والآلات الصناعية لمنافعهم الفئوية والشخصية ، وليس لمصلحة المجتمع القومية . وقد سخَّروا اجهزة الدول المتسلطين عليها بدساتيرها وقوانينها وقضاتها وجيوشها واجهزتها المالية والامنية والمخابراتية والاعلامية لتسكت كل صوت حر ، وتقمع كل حركة اصلاحية تحاول اصلاح او تغيير انظمة الفساد الفئوية بايجاد نظام قومي اجتماعي هدفه تحسين مستوى جميع ابناء المجتمع.

ثالثاً : تنظيم الاقتصاد القومي على اساس الانتاج

لا يكفي بان يكون الاقتصاد قوميا لكي تعم البحبوحة والرفاهية في المجتمع . فالقلة او الفقر القومي لا يحل مشاكل الناس بل يزيد الناس فقراً وعوزا وتأخرا ، ويجعلهم عبيدا ارقاء للميسورين.

ان الاقتصاد القومي السليم هو الاقتصاد القومي الاجتماعي القائم على أساس الانتاج ، والعمل الانتاجي . وكل اقتصاد لايقوم على اساس الانتاج هو اقتصاد فاسد وباطل .

يقول سعاده في شرحه للمبدأ الاقتصادي : " **الانتاج هو الاساس الهام للاقتصاد القومي . وبدون الانتاج لا يمكننا مطلقا التفكير برفاهية الشعب. اذا كانت الثروة قليلة والناس كثر لم يفد الناس كثيرا توزيع كمية قليلة عليهم ، بالكاد تسد رمقهم. فالانتاج هو المفتاح للقضية الاقتصادية كلها** "

وحين وجه سعاده نداءه الشهير في الاول من أيار للأمة السورية بدأه بقوله :

"أيها العمال والفلاحون السوريون
يا أصحاب الفنون والحرف
أيها المنتجون علماً وفكراً وصناعةً وغلالاً
أنتم أوردة الحياة وشرايين القوة في جسد الأمة السورية الحيّ .
أنتم الأمة خلقاً وانتاجاً وتشييدا . "

ماذ يمكن ان نفهم من هذا الكلام ؟وماذا يمكن ان نستنتج ؟ لقد اعلن سعاده منذ تلك اللحظة وبهذا الكلام الواضح البليغ نهاية عصر مفاهيم النظام السياسي القائم على اساس الفلسفة الفردية التي هي فلسفة الانسان ـ الفرد،وبداية عصر مفهوم نظام سياسي جديد يقوم على اساس فلسفة قومية اجتماعية هي فلسفة الانسان ـ المجتمع . ومع بزوغ هذه الفلسفة الجديدة ، انتهى عصر مفاهيم الاقتصاد السابقة من رأسمالية واشتراكية وشيوعية، وبدأ عصر مفهوم الاقتصاد المجتمعي . اقتصاد مجتمع ـ الأمة . أمة العاملين لا الخاملين . أمة المنتجين لا المتسولين .أمة الواقعيين المعتمدين على أنفسهم لا المقامرين المراهنين الحالمين .أمة المبدعين لا المعتوهين . أمة البنائين

لا المخربين . انه اقتصاد الانسان ـ المجتمع الواعي القوي المنتج المبدع .

والانتاج كما فهمه سعاده انواع وليس نوعا واحدا . واهم انواع الانتاج الذي تقول به فلسفة الانسان ـ المجتمع الجديدة في ميادينه المتعددة والمتنوعة هي التالية :

*ـ ميدان الانتاج المعرفي
*ـ ميدان الانتاج العلمي
*ـ ميدان الانتاج الفكري
*ـ ميدان الانتاج الفني
* ميدان الانتاج الزراعي
*ـ ميدان الانتاج الصناعي
*ـ ميدان الانتاج التجاري
* ـ ميدان الانتاج الاستكشافي

(أ) ميدان الانتاج المعرفي

يقول سعاده : " المجتمع معرفة والمعرفة قوة " فاذا فُقدت المعرفة انعدمت القوة . وبانعدام القوة يحل الضعف . ونصيب الضعفاء في الحياة هو الفقر والعوز والشقاء . لذلك فان الانتاج المعرفي يبقى في طليعة انواع الانتاج الذي يحرر المجتمع من الجهل والتخلف، ويحميه من البؤس والمذلة . لكن المعرفة التي قصدها سعاده ليست اية معرفة ، بل هي معرفة ما يفيد المجتمع ويرفع من مستواه ومعرفة ما يضر المجتمع وما يحط من شأنه. فيعزز معرفة المفيد ويطوّرها ويحسّنها . ويصون نفسه من المضر ويتجنبه ويحاربه.
وأهم معرفة في الحياة هي ان يعي المجتمع نفسه:وجوده ،حياته ،

مصيره ، امكانياته ،حاجاته ، مطامحه ، دوره في الحياة ، مكانته بين الأمم ، مثله العليا ورسالته في هذا الوجود . فاذا تحققت له هذه المعرفة ، فقد بدأ الخطوة الاولى في الانتاج السليم المفيد .

لذلك بدأ سعاده حركته بالسؤال الفلسفي الخطير:"من نحن ؟ " ولم يكن السؤال من أجل السؤال ، بل كان السؤال من اجل تحقيق أول انتاج معرفي . وكان الجواب على السوءال هو الانتاج الاول الذي هو نظام إجتماعي سياسي قومي اجتماعي مناقبي اخلاقي جديد . انبثق عنه النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي القائم على اساس الانتاج ، والهادف الى تحقيق العدل الاجتماعي السياسي الاقتصادي الحقوقي .ان المعرفة هي مفتاح الانتاج والدخول الى اقتصاد قوي . والمعرفة التي نعني ليست معلومات ولا هي تراكم معلومات وخبريات ومرويات وقصص على ما في هذه الامور من الفوائد والمنافع . انها المعرفة الفاضلة التي هي الوعي الفاضل الذي ينمو باستمرار من جهة وتنمو مناقبيته واخلاقه باطراد من جهة ثانية بحسب نمو الانسان وتطوره وتقدمه ورقيه .

الانسان ـ المجتمع ـ الامة المتعاقب جيلا بعد جيل ، والمتوسع وعيه طورا بعد طور ، ومستوى بعد مستوى . ولما كان المجتمع ـ الامة هو افراده في دورة حياتهم الذين هم امكانياته الاجتماعية وفعالياته الحياتية المتعاقبة والمتنامية ، فقد كان واجب كل فرد مؤهل من ابناء المجتمع ان يكون منتجا في الحقل المعرفي الذي يزيد الامة غنى ومنعة وحضارة ، ويجعل ابناءها اكثر تقدما ورقيا . فالتفوق الحقيقي هو التفوق في الوعيّ السليم والمعرفة الفاضلة وممارسة كل ما هو صالح ويساعد على حياة افضل .

(ب) ميدان الانتاج العلمي

والى جانب الانتاج المعرفي فان العلم ايضا هو انتاج .وهو ثروة تصغر امامها ثروات كثيرة . والمجتمع الذي يتخلف في انتاجه العلمي هو مجتمع متخلف فقير يعيش على التسول . والتسول لا يبني وطنا ولا يسعد أمة .

ان العلم المقصود هو العلم النافع للإنسان ـ المجتمع ، وليس العلم المؤذي ولا العلم الذي لا يفيد . لذلك قال سعاده :

" العلم الذي لا يفيد كالجهل الذي لا يضر. " انه العلم النظري والاختباري الذي يُسَهِّل الصعوبات امام ابناء الامة ، ويكتشف النواميس الطبيعية ، ويرسم الخطط الراقية من اجل مستقبل سعيد ، ويطور وسائل الانتاج وادواته وآلاته ، وينمي الثروة القومية ، ويخلق الظروف المساعدة على تحسين الانتاج في حقول الانتاج الاخرى ، ويحد من المعرقلات التي تربك مسيرة المجتمع

ويساعد على بلوغ ارقى المستويات لمصلحة الكل . مصلحة العموم التي هي مصلحة الجيل الحاضر والاجيال الآتية التي هي ترجمة للمثل المعروف والمشهور:

" زرعوا فأكلنا ونزرع فيأكلون".

فالعلم غنى والجهل فقر . فمن اكتفى بجهله فقد خاب وافتقر وتقهقر . ومن سعى بعلمه فقد فاز واغتنى وتقدم .

بالعلم كل الانتاجات الاخرى الضعيفة تتطور وتتحسن و تقوى .

وبالجهل كل الانتاجات القوية تتراجع وتسوء وتضعف . وهنا تبرز قيمة العلماء وطلبة العلم ، وتكبر مسؤوليتهم التي ترتّب عليهم واجب انتاج العلوم النافعة المحققة مصلحة الامة في الاستقرار والنموّ والازدهار .

(ج) ميدان الانتاج الفكري

ولا يقل الانتاج الفكري اهمية عن الانتاج المعرفي والانتاج العلمي بل ان جميع انواع الانتاج تتكامل وتكمل بعضها بعضاً في دورة انسجامية تناغمية كاملة تتواصل وتتصل بكل حاجات الانسان المادية والنفسية والروحية بشكل لا انفصال ولا انفصام فيه . ومخطيء من يظن او يتوهم ان الانتاج الاقتصادي يتوقف فقط على الجانب المادي وحده . لأن الانسان لا يعيش وينمو ويتطور كأنسان بالطعام والشراب والكساء والهواء فقط ،بل لا غنى له عن المعرفة والعلم والفكر وكل القوى الروحيةوالنفسية وانتاجاتها حاجيةً كانت ام ضروريةً ام حتميةً لنمو ومناعة ورقي المجتمع ماديا وروحيا . والاصح ان نقول مدرحيا دون ثنائية او تجزيء . واهم انتاج يستقر عليه الفكر الراقي ويطمئن اليه الشعور السليم هو محبة الحقيقة الاساسية لتحقيق عالم افضل ، وممارسة المعرفة الفاضلة لتحصين ذلك العالم ، وابراز اجمل ما يتوصل اليه العقل من افكار ،والتعبير عن الطف ما يعتمل في المشاعر من احساسات وعواطف .

ومسؤولية هذا الانتاج العظيم الفكري من فلسفة وادب وتشريع وغير ذلك ، تقع في الدرجة الاولى على المفكرين المؤهلين الموهوبين من ابناء الامة الذين يستطيعون ان يستلهموا افكارهم من روح الامة ، ويستمدوا روح نهضتهم من تراثها ومواهبها وعطاءاتها وتاريخها المليء بالانجازات والابداعات . وفي هذا الانتاج الفكري يتألق تراث الامة ، وتفيض ثروتها ، ويزداد غناها جمالاً وخيراً . وينعكس ذلك على اقتصادها فيتحسن ويرتقي نوعاً ، ويرتفع قيمةً ، ويزداد كميةً ويلبي حاجات المجتمع ، ويلبي كل ضروريات ابنائه ، وكل ما يساعدهم على التحسن والجودة والاتقان والرفاه .

(د) ميدان الانتاج الفني

يقول سعاده : " ان العظمة التي تقف عند حد ليست عظمة حقيقية " والنفسية العظيمة ليس لانتاجها حدود، ولا تقف عند مستوى معيّن من مستويات الانتاج. انها نفسية مبدعة، ودرجات الابداع لا تنتهي.

ومجالات الفنون ومستوياتها بالنسبة للنفسية العظيمة تتسع وترتقي باستمرار . وكما يكون الفن نتاج النفسية الراقية ، فانه ايضا يحرك عوامل النفسية ، ويطلق روح التجدد والتجديد في الأمة ، فترتقي اساليب حياتها ، وتتنوع مجالات انتاجها ، وتتسامى مستويات تفكيرها ، وتمتد وتتسع آفاق نظرها .

فيتوفر للأمة فن راقي قال عنه سعاده بأنه : " يوحّد العواطف ويجمعها حول مطلب أعلى حتى تصبح ولها ايمان اجتماعي واحد قائم على المحبة ، المحبة التي اذا وجدت في نفوس شعب بكامله أوجدت في وسطه تعاوناً مخلصاً ، وتعاطفاً جميلاً يملأ الحياة آمالاً ونشاطاً . "

وحين تمتليء حياة الأمة بالآمال والنشاط يحصل لها الانتاج الكبير وتتوفرلها الثروة الوافرة ، المادية منها والروحية .

والفن لا يتوقف فقط على حقول معينة دون سواها كالشعر والرسم والنحت والتصوير والغناء والرقص والموسيقى والتمثيل والكتابة والخطابة وغيرها من الفنون المعروفة او الممكن التوصل الى خلقها او اكتشافها ومعرفتها ،بل يتصل بكل نوع من انوع الانتاج ، ويشكّل روح التجدد فيه التي لا تقبل بالجمود ، ولا ترضى بالركون الى واقع الحال الساكن او المفعول.

انه الروح المحركة في كل حقل من حقول الانتاج لتحقيق الافضل من النتاج سواء كان روحيا كنتاج المعرفة والعلم

والفكر والفن والتشريع والتخطيط . أو كان ماديا كنتاج الزراعة والتربية الحيوانية والصناعة والتجارة .

واننا نستطيع الجزم بثقة ان كل انتاج لا يكون الفن او الروح الفنية عاملا محرّكاً فيه هو انتاج سكوني مكتوب له الجمود، ولا يصلح للحياة النامية المتطورة الراقية .

ان الانتاج الفني هو نتاج نفسية راقية ناهضة مبدعة متفوقة ثائرة ترفض الجمود والخمول وتطمح الى ما هو ارقى وابقى وأكثر نفعاً للإنسان ، وأدوم تقدماً وتسامياً لأجياله الآتية .

(هـ) ميدان الانتاج الزراعي

ان الانسان العصري المتمدن كما اشار اليه سعاده في مؤلفه العلمي نشوء الامم هو :" **نتيجة أو حاصل الثقافات المتوالية على الانسان التي ولّدها التفاعل المستمر بين الانسان وبيئته** ." من نتائج هذا التفاعل بين الانسان الزراعي الذي استوجب والبيئة كان حصول الانتاج السعيّ وراء الرزق ، والاعتماد على الذات للحصول على الغذاء وسد الحاجة واستصلاح الارض وزراعتها حبوباً واشجاراً مثمرة .
فالزراعة هي الميدان الانتاجي الاول الذي لا يمكن الإستغناء عنه للأمة التي تريد ان تعيش بكرامة وبحبوحة " **وويل لأمة تأكل مما لا تزرع ، وتشرب مما لاتعصر وتلبس مما لاتنسج** " كما قال جبران خليل جبران.

لقد عرف الانسان الزراعة منذ القدم ، وما زالت الزراعة حتى هذا العصر ، وسوف تستمر مع الانسان الى ما لانهاية لأنها العنصر الاساسي من عناصر الاقتصاد . ولا يمكن ان يحل محلها أي عنصر آخر مهما تطورت الحياة ، ومهما طرأ عليها من المتغيرات .

ان التفاعل بين الانسان والارض هو تفاعل ازلي ابدي ، وهو عماد الحياة فاذا توقف هذا التفاعل انتهت مسيرة الحياة الانسانية . فلا كيان للإنسان إلا على الارض . ولا قيمة انسانية للأرض إلا بوجود الانسان .

وقد تطورت الزراعة كثيرا بتطور الانسان ونموه وتقدمه من زراعة المعزق الى زراعة المحراث فزراعة البستان حتى زراعة المحاصيل الكبيرة وانشاء الصناعات الضخمة القائمة على الزراعة . وسوف يستمر التطور الزراعي ما دام الانسان يتطور . وترتقي وسائل الزراعة وأساليبها وآلات زراعتها وحصادها وتصنيعها وتحسين مواسمها ونوعياتها ما دام الانسان يرتقي ويتقدم . ولكن الزراعة لا تصير موردا قوميا اجتماعيا للأمة بتمامها وكمالها إلا بتحقيق قضية الأمة ، وخدمة مصلحتها العليا التي تشمل ملايين الملايين من الناس الذين هم الأمة والأمة هم .

ان الانتاج الزراعي الذي عناه المبدأ الاصلاحي القومي الاجتماعي هو انتاج زراعة الأمة كل الأمة .ولخدمة مصالح الأمة كل الأمة . ولرفاهية الأمة وازدهارها كلها . فلا يسيطر عليه اقطاعي ، أو راسمالي فردي أو شركة خصوصية ، أو محتل استعماري حتى ولا رجال الحكومة . لأن تفويض الأمة الوحيد لدولتها او حكومتها هي أن تكون الدولة دولة رعاية مصالح الشعب كل الشعب في جيله الحاضر وأجياله الآتية ، فضلا عن الاعتناء بكل تراث الشعب التاريخي و الحضاري . وكذلك ايضا فان التفويض الوحيد للحكومة ان تكون مؤتمنة وساهرة على اعداد وتحسين وصيانة وحماية مشاريع زراعة ألأمة . والاهتمام بتحسين مستوى

حياة الفلاحين العاملين في جميع حقول الزراعة ، والذين يشكلون القوى الأهم التي تنتج غذاء الأمة طعاماً وشرابا .
وبما ان العلاقة متينة بين الزراعة وتدجين الحيوانات وتربيتها للحصول على الغذاء اللحمي وعلى ما يمكن استخراجه والحصول عليه من الحيوان كالحليب وألألبان والأجبان والمواد الدهنية والزبد والبيض ، فان تربية الحيوانات والطيور والأسماك هي عمل انتاجي هام يجب الاهتمام به ورعايته والاعتناء به وتسهيل كل الوسائل التي تساعد على تقويته وتعزيزه، و توفير كل الضروريات والحاجات التي تجعل منه ثروة غذائية قومية اجتماعية تلبي حاجة أبناء ألأمة ، ولا تضطرهم الى استيراد هذه المواد الغذائية من الخارج .

(و) ميدان الإنتاج الصناعي

ان التطور الاجتماعي الذي حدث بعد اختراع الحروف الهجائية التي أدت الى تفوق القوى العقلية في الانسان كان تمهيدا لظهورثورة صناعية هائلة وطور جديد هو طور الآلة التي حلت مكان الكثير من العمال ،وجعلت الانتاج يزداد بشكل كبير.ويوفر الجهد والوقت لليد العاملة المنتجة .
فتفوق القوى العقلية في الانسان على القوى الغريزية أدى الى تفتح المواهب الانسانية الابداعية التي اخترعت المحرك والآلة بعد ان كان يعتمد على المعزق والمحراث والأدوات البسيطة والعضلات . وباختراع المحرك والآلات اصبحت سيطرة الانسان على العوامل الطبيعية وعلى البيئة أكبر وأقوى ، فكانت الثورة الصناعية فاتحة لعصر جديد ، ودرجة جديدة في حركة التقدم البشري ، حيث قامت المعامل والمصانع والصناعات الكبيرة التي جمعت مئات بل آلاف العمال في شتى الصناعات ، فنشأ عن ذلك نظام جديد هو النظام الرأسمالي الفردي الذي سخَّر

ويُسخِّر العمال لمصالح خصوصية وفردية أو لمصالح اجنبية استعمارية . وبدلاً من ان تكون الآلة محررة للناس ومطلقة لقواهم العقلية والابداعية غدت بفضل سوء النظام وسيلة استعباد ، وآلة قهر لعشرات الملايين من العمال المنتجين ولذلك فان النظام القومي الاجتماعي جاء ليضع حدا للنظام السيء الذي يتحكم بالعملية الانتاجية الصناعية ، ويضع الامور في موضعها الصحيح باعتبار ان الانتاج الصناعي هو انتاج عام، اشترك في تحقيقه جميع ابناء المجتمع، وقام على اساس تعاونهم وبفعل جهودهم جميعا ، ولا يجوز أو يحق ان يستأثر به إقطاعيون أو رأسماليون أو فئويون أو إنتهازيون أو شركات أو موظفون يعملون لحساب أفراد من المجتمع أو من خارج المجتمع.

يقول سعاده في شرحه للمبدأ الاقتصادي في المحاضرات العشر :

"إن الأمة التي تبقى في حالة زراعية محض تبقى حتماً مستعبدة للأمة التي هي منظمة صناعياً تنظيماً عالياً يمكنها من احداث الآلات الصناعية والحربية لإخضاع أي شعب لا يخضع لأحكامها الإستبدادية . "

وبناء على ما تقدم فان سعاده يقول :

" إننا نرى أنه لا بد للدولة القومية المقبلة من أن تسير في إيجاد حالة صناعية في هذه البلاد تُخرج الأمة من حالة الرق للنظام الرسمالي القائم على الصناعة الكبرى في الأمم الكبيرة المتقدمة ."

لكل ما تقدم فانه لا غنى للأمة ابدا ، ولا بد لها من انشاءصناعة لها تنهض بالبلاد ، وتلبي حاجة ابناء الأمة من الصناعات التي تستطيع انتاجها الأمة، بدلاً من استيرادها من الخارج . وهذا لا يعني الانعزال عن الخارج ، بل يعني ان على الأمة ان تعتمدعلى نفسها في ما تستطيع انتاجه وتصديره ، ولا تستورد الا ما لا

طاقة لها على انتاجه ، او ما يكلفها باهظاً . وبهذا تكون قد حمت نفسها وصناعتها من سيطرة الدول الأخرى , وقامت بما عليها من تقوية وتحسين انتاجها دون انعزال.
ان الأمم التي تريد ان تنهض لا بد لها من ايجاد صناعات تساعدها على التقدم والرقي ، وتجعلها جديرة باحترام نفسها واحترام الأمم الاخرى لها .

(ز) ميدان الانتاج التجاري

ان التجارة كانت ولا زالت من اهم العوامل المساعدة على تقوية الانتاج في المجتمع ، وعلى توطيد دعائم النموّ الاقتصادي ، وتسهيل عمليات التبادل الخارجي والداخلي وكذلك تحسين العلاقات بين ابناء المجتمع في الداخل وبين الشعوب في الخارج . ولذلك فان العامل التجاري له علاقة وثيقة وفاعلة في جميع ميادين وحقول الانتاج المتعددة . وبقدر ما تكون التجارة تجارةً راقية وتقوم على قواعد وأسس راقية تلبي حاجات المواطنين ، وتخدم مصالح الأمة دون ان تضر بصالح الأمم الأخرى , فانها تكون عاملاً مهماً في ترقية الاقتصاد القومي الاجتماعي وكذلك ايضاً عاملا قوياً ومهما في التقريب والتوازن بين مصالح الشعوب المحبة للحضارة والمدنية والرقي.
أما اذا كانت التجارة لا تقوم على الأسس السليمة المشار اليها، بل تقوم على اسس ومباديء فردية وفئوية واحتكارية ولصوصية يمارسها لصوص ومحتكرو ثروة المجتمع من ابناء المجتمع . ولصوص ومستعبدو الشعوب ومغتصبو ثرواتها من الأمم الأخرى ، فإن الحالة تختلف كثيراً ، والأمور تسوء وتتعقد بين المواطنين في داخل المجتمع وكذلك تضطرب العلاقات بين الأمم ، وتتناقض مصالحها ، وتسوء وتتدهور علاقاتها فيما بينها ، وتنفجر الحروب والمآسي .

فتكون التجارة في هذه الحالة وسيلة استغلال وظلم تؤدي الى انحطاط مجتمعات كثيرة ، وسيطرة مجتمعات استبدادية قليلة أخرى مولدة الكراهية والبغضاء في المجتمع الواحد وبين المجتمعات المتعددة .

ان التجارة في مفهومها القومي الاجتماعي هي كما عبر عنها سعاده :

" علم وفن التعامل مع الناس " وهذا العلم الفني او الفن العلمي يجب ان يكون لمصلحة الكل في الداخل ، ولمصلحة الكل في الخارج ايضاً .أي لسد حاجات المواطنين عامةً في داخل المجتمع ولتأمين مصالح المجتمعات وتوازنها في علاقاتها فيما بينها . فلا يكون أناس في الأرض وأناس في السماء .
ولاتكون أمم في النعيم وأمم في الجحيم .
ان النظام القومي الاجتماعي يقوم على قاعدتي الحق والعدل . الحق والعدل في جميع ميادين الانتاج . والحق والعدل في جميع مستويات التوزيع بشكل لا يُقهر فيه أحد ، ولا يُظلم فيه شعب بل هو الاحترام الكامل لكل مواطن في المجتمع . واحترام كامل لحقوق كل شعب . انه نظام الاحترام المتبادل . ونظام العلاقات الراقية . ونظام وضع أسس النظام العالمي الجديد الذي يعمل لترسيخه وتعزيزه الإنسان ـ المجتمع .الانسان الناهض إنسان ـ النهضة الذي تسعى الى تحقيقه الحركة السورية القومية الاجتماعية ،والذي بشرت به مدرستها الفكرية الرائدة ولا تزال تعمل بجد واجتهاد واخلاص في نشر الوعي الجديد والمفاهيم الجديدة : مفاهيم النظرة القومية الاجتماعية الى الحياة والكون والفن في رسالة سامية . رسالة الانسان ـ المجتمع الى جميع بني البشر في جميع الأمم .
هذه الرسالة هي رسالة احترام مصالح الأمم ومطامحها في العيش الرغيد، وليس تهييج المطامع ، وإثارة عوامل الجشع وفواحش الظلم والاحتكار المدمرة للعلاقات الانسانية السليمة .

وكما تتضح ثورية النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي على الصعيد الداخلي في التصدي لنظام الاقطاع والسعي لالغائه ، فان النظام القومي الاجتماعي الاقتصادي يتصدى بقوة لنظام الرق الأممي المسيطر في هذا العصر . فبعد ان انتهى عهد العبودية الفردية وتجارة العبيد واحتقار واستعباد الناس وتسخيرهم وبيعهم في اسواق النخاسة ، أطل علينا هذا العصر بما هو أسوأ وأردأ وأحط وهو عصر استعباد الأمم والشعوب بدل استعباد الافراد . ان مبدأ حياة الأمم وتقدمها ورقيها هو في غاية الأهمية وفي مقدمة المباديء التي يجب احترامها . وكما لم تعط أية أمة حق الاعتداء على غيرها . فإنه لم يكتب على أمة أبداً أن تخضع للإعتداء وأن تقبل بالذل والعبودية . بل عليها كما أوضح سعادة " أن تنظر في مصالح حياتها بالنسبة لمصالح الأمم الأخرى ولمطالبها العليا " لأن " كل أمة لا تنظر في وحدة مصالحها ، وتسمح لهذه المصالح بالتفكك والانقسام بعضها عن بعض في تحزبات طبقية لا تعاونية ، أمة يأكل بعضها بعضاً ، بينما الأمم الأخرى تنتظر ضعفها لتلتهمها جملة. "

لقد أصبحت التجارة الخارجية في هذه الأيام اهم من الجيوش العسكرية في غزو الشعوب واستعبادها والسيطرة عليها واستغلال خيراتها .

ولهذا فان نوع التجارة والاتجاه التجاري في النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي هو التجارة التي تقوم على أساس الأخوة القومية والعدل الاجتماعي الحقوقي وانصاف العاملين المنتجين في داخل المجتمع ، وصيانة مصالح الأمة المادية والنفسية الاساسية والكبرى المؤثرة على وجودها وحياتها ومستقبلها في علاقاتها الخارجية مع غيرها من الأمم الأخرى.

(ح) ميدان الانتاج الاستكشافي

- - - - - - - - ----- - -- - --- - -- ----- - -

ان ميزة الانسان الواعي هي الرغبة في المعرفة وفي الاطلاع على كل ما هو مجهول . فهو دائما محب للإستطلاع والمغامرة وكشف الحجاب عن الاسرار والألغاز والاشياء والموجودات التي لا تزال بعيدة عن معارفه .

وحب الاستكشاف هذا عندما يتعدى الرغبة الى الحركة والفعل يصبح مجهودا او جهدا انسانيا . والجهد الانساني في المفهوم القومي الاجتماعي الاقتصادي يجب ان يكون دائما عملا مثمرا وجهدا منتجا . فاكتشاف واستكشاف مصادر الثروة من مياه ومعادن ومواد طاقة ونباتات غذائية وصحية وانواع حيوانية مفيدة للانسان وذرات اثيرية ونواميس طبيعية للسيطرة على قوى الطبيعة وخدمة الحياة الانسانية وغير ذلك هي كلها تدخل ضمن نطاق وميدان الانتاج الذي يعود على الاقتصاد المجتمعي بالبحبوحة والثروة والخير .

الخلاصة التي يمكن استنتاجها من كل ماشرحناه هي ان النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي الجديد هو نظام لا يستقيم ولا يقوم إلا على اساس وحدة المجتمع وأولوية مصلحته في النهوض والتقدم والارتقاء ، والتي تشتمل على مصالح جميع ابناء جيله الحالي ومصالح أجياله الاتية .

انه نظام المجتمع الواحد الموحد التام الناضج الذي يرفض التمزق الداخلي، ويرفض كل الانظمة التي تفتت الشعب وتتقاسم الولاءات ، ويرفض ان يستعبد بعض أبنائه اخوانهم في القومية والوطن ويستغلون جهودهم لمنافع خصوصية فردية ، ولا يقبل أبداً أن تخضع الأمة لغزو أو احتلال أو وصاية أو انتداب . انه نظام مجتمع حر وكل أبنائه أحرار يشتركون في ممارسة حقوقهم في العمل والانتاج . في الحرية والتقدم . في الابداع والرقي . في الحياة العزيزة الجميلة . في حياة حرة . ويتعاونون في انتاج ما يسد حاجاتهم المادية والنفسية ، ويؤمّن جميع مصالحهم الحيوية ، ويوفّر لهم حياة كريمة في حاضرهم واحتياطا ضامنا لرفاههم في مستقبلهم ومستقبل أجيالهم .

كل مواطن يجب أن يكون عاملاً ، وعليه أن يكون منتجاً بطريقة من الطرق . ومجالات الانتاج كثيرة . وعندما يكون المواطنون أي أبناء الأمة جميعهم منتجين يتحقق بذلك المجتمع المنتج . مجتمع المنتجين الذي ينعم بخيرات حاضره ، ولا يخاف من مواجهة مستقبله . بل يتقدم بخطى ثابتة ويرتقي من مستوى كريم الى مستوى أكرم . ولصون هذه الحياة الكريمة وحمايتها للأمة السورية ولشقيقاتها الأمم العربية الأخرى ، فإن غاية الحركة السورية القومية الاجتماعية أوجبت على العاملين من أجل تحقيقها أن يهيؤا الأمة السورية لكي تعمل بكل ما في وسعها من أجل قيام جبهة عربية واحدة تكون سدا منيعا في وجه المطامع الاستعمارية ، وقوة تستطيع ان تحمي موارد وثروات العالم العربي من السرقة والنهب والعدوان ، ويكون لها دورها الفعال في تطوير وتحسين حياة الشعوب العربية على أسس التفاهم والتعاون ، والاحترام المتبادل والتكامل ، والإلتزام بمهمات النهوض والتنمية ، وتطوير وتحسين علاقات الأخوة لخير ورفاهية جميع أبناء الشعوب العربية وصيانة حقوقهم في الاستقلال والحرية والتقدم .

رابعاً : إنصاف العمل

إن العمل هو العنصر الأساس في قيام أي اقتصاد مهما كان بدائيا وهو العامل الفعال الذي لا يقوم بدونه أي نوع من أنواع الاقتصاد . إنه الجهد الانساني المحقق للإنتاج ، ولا انتاج بدونه مهما كان بسيطا إلا ما تنتجه الطبيعة من نباتات وأثمار وطرائد حيوانية . والعمل هذا هو الطاقة الانسانية المبذولة في جميع حقول الانتاج الزراعية والصناعية والفكرية والفنية والعلمية والمهنية الحرفية والخدماتية .انه الجهود الانسانية التي لا تنفصل عن الانسان ، ولا

تكون بدون الانسان . بل ان العمل هو الانسان نفسه المتفاعل مع بيئته والمنتج لكل ثقافة منذ كانت الحياة في بدائية الثقافة مرورا بالأطوار الثقافية المتعددة والمختلفة وحتى أرقى ما وصلت اليه في عصرنا الحالي . والانسان العامل هو الانسان الحي القادر على النموّ والاستمرار والرقي واكتشاف نواميس الطبيعة وأسرار الوجود والنزول الى أعماق الأرض ، وارتياد آفاق السماء بالمواهب التي زودته بها العناية المدبرة لهذا الكون .
هذا الانسان العامل المنتج هو انسان اجتماعي ثقافي حضاري يعيش في بيئة يُؤثِّر فيها وتُؤثِّر فيه ، ويحيا حياة جماعية اجتماعية وليس حياة فردية انعزالية . انه انسان متحد . انسان بشر . انسان جماعة . انسان مجتمع . انسان تاريخ . انسان حضارة نشأت بفعل وفضل الملايين من الناس الذين اشتركوا في دورة حياة واحدة ، وتضافرت جهودهم جميعا في انتاج ثقافة خاصة بهم و تعبِّر عن خصوصية نفسيتهم وعقليتهم ،وهم يستمرون في نموهم الحضاري بقدر ما يتمسكون بمبدأالتعاون الذي يجب ان يستمر فاعلاً بينهم .
إن انصاف العمل يعني انصاف العمال الذين يقومون بالعمل والاشتراك في الانتاج ويتعاونون على توفير أكبر كميات ممكنة من الغلال الزراعية والأدوات والسلع الصناعية ، والمنتوجات الفكرية والفنية ، والوسائل المساعدة والمسهلة على تحسين مستوى حياة الآمة وتقدمها وازدهارها.
والعمال هم كل عامل يشارك في انتاج ثروة الامة وبناء مجدها الذي خاطبته الحركة القومية الاجتماعية في بيان عمدة الاذاعة في أول أيار عام 1950 بالقول : " أياً كان انتاجك، غلالاً أم صناعة ، أم فكراً ، وأينما كنت في الحقل أم في المعمل ، في المدرسة أم في المكتب ، في المتجر أم في الوظيفة ، فأنت أنت العامل المنتج ... نتقدم لنقول لك ، انك لم تعد ، بعد فعالية حركة نهضة الأمة

آلة حيّة لتأكل ويأكل الحقد في قلبك ؛لم تعد مجرد عدد- على

كميتك وعلى مجهودك الجسدي الجبار- يرتكز مستثمر من داخل نطاق وطنك ومن خارجه ، لم تعد ، طبقة ، عليها ان تكد وتكدح لرفاه طبقات أخرى تصارعها وتنازعها اللقمة المجبولة بعرق جباهها وزنودها وأدمغتها ، لتتركها فريسة الخوف والوهم والفقر والأمراض . لم تعد ، بعد شق حركتك الطريق ، عبداً يتحرك تحت سياط الأسياد وعبيد الأسياد . "

الى ان يقول : " إن خيرات أمتك لايجوز أن تكون إلا لك ولبنيك ولمن يأتي بعدك من أجيال ، واننا لن نتساهل في إبقاء هذه الخيرات في يد أية قوة خارجة عن مصلحتك في الغرب أو في الشرق . "

وقد خاطب أولائك العمال قبل ذلك سعاده في ندائه " الى منتجي ثروة الأمة وبنائي مجدها " في أول أيار 1949 قبيل استشهاده قائلاً :

" أيها العمال والمزارعون السوريون

أن أول حق من حقوقكم الطبيعية والاجتماعية هو حق العمل والانتاج وبدون وصولكم الى هذا الحق تبقى مسألة الأجور وقوانين العمل وقوانين الضمانة الاجتماعية مسألة وهمية . فقوانين العمل والضمانة الإجتماعية لا تحل مشكلة البطالة ولا مشكلة الفقر العام ...لا يحل هاتين المشكلتين إلا بمبدأ حق العمل الذي أقرته التعاليم القومية

الاجتماعية . وحق العمل يعني حقنا في مواردنا- في أرضنا ونباتها ومعادنها . "

" ان توزيع القلة والفقر بالتساوي لا ينقذنا من الاعياء والوهن والشقاء مهما كان في هذا التوزيع من العدل . فالقومية والموارد الوطنية هي أساس اجتماعيتنا وان ما ينقذنا من الاعياء والوهن والشقاء هو قوميتنا الاجتماعية . هو وضع مواردنا تحت سيادتنا فيكون لنا الانتاج العظيم بعملنا ويكون لنا الخير والهناء بتوزيع الانتاج القومي الاجتماعي توزيعاً عادلاً .

"ان الحركة القومية الاجتماعية تعمل وتحارب لتأمين الأرض السورية و وحدة مواردها لكم واعطائكم حق العمل وحق النصيب منه . "

" ان القومية الاجتماعية تعني توزيع غنى لا توزيع فقر . فاطلبواالعدل الاجتماعي في غنى النهضة القومية الاجتماعية . "

" كونوا قوميين اجتماعيين وحاربوا في سبيل قضيتكم القومية الاجتماعية التي تحرركم من الاقطاعية والرسمالية الوطنية ، ومن الاقطاعية والرسمالية الانترنسيونية .

آمنوا واعملوا وحاربوا تنتصروا "

ان انصاف العمل يعني انصاف العمال . يعني تأمين حق العمل لهم . يعني القضاء على البطالة . يعني حصول الوعي لحقيقة وجودنا وحياتنا ،وحريتنا في تقرير مصيرنا ، واستعادة سيادتنا على أنفسنا وبلادنا . يعني القضاء على الفقر العام . يعني زيادة الانتاج وزيادة الثروة القومية .
ان انصاف العمل يعنى توزيع الغنى علينا جميعا باعتبار أن كل واحد منا يجب ان يكون عاملاً منتجا بأية طريقة من الطرق .إن انصاف التساوي في الركون الى البطالة واللهو ليس انصافاً وان عدالة المساواة في تقاسم الفقر والعوز ليست عدالة .
ان العدالة الحقيقية هي انصاف العمل والعمال بتأمين العمل لهم ومحاربة البطالة ، وضمان حقوقهم ، واطلاق مواهبهم وتوفير ظروف الحياة الجيدة العزيزة الخيّرة الهنية لكل مواطن في جيلنا الحالي ،و تهيئة واعداد كل ما يساعد أجيالنا الآتية على حياة الهناء والرقي والكرامة .

خامساً : صيانة مصلحة ألأمة

ان أهم المصالح التي يركزعليها الحزب السوري القومي الاجتماعي والتي هي نقطة انطلاق مركزية ، هي قضية الامة السورية . قضية مصلحة الامة . قضية وجودها . قضية حياتها . قضية مستقبلها. قضية خروجها من ظلمات الخمول . قضية يقظتها ونهوضها . قضية تحسين واقعها ورفاه عيشها . قضية بناء مستقبلها كما يليق بالامم الراقية العزيزة . قضية بناء قوتها وحماية نفسها وطنا وشعبا وحضارة وتاريخا ومنجزات وازدهاراً .
لكل هذا ، فان كل مبدأ من مباديء هذا الحزب قد وضع بجدية واتقان من أجل تحقيق قضية ألامة ومصلحتها العليا التي هي فوق المصالح الجزئية الخصوصية الداخلية والخارجية .
وبديهي ان لا يشذ المبدأ الخاص بتنظيم الاقتصاد عن صيانة مصلحة ألامة التي في صيانتها صيانة لجميع مصالح أبنائها

الأحيـــاء والذين لا يزالون في رحم الغيب وفي أصلاب أبناء اجيالها القادمة .
ان الغاء الاقطاع ، وتنظيم الاقتصاد القومي على أساس الانتاج ، وانصاف العمل هي تدابير وأمور تصب كلها في مصلحة الأمة ولا ينقصها الا الدولة القومية الاجتماعية السليمة التي تعبِّر عن ارادة الامة وتسهر على تأمين مصالحها . والدولة القومية الاجتماعية المعنية هي التي تستمد سلطتها وصلاحياتها ومبرر وجودها من ارادة الامة . من ارادة الشعب الذي هو سبب وجودها . فالشعب كما يقول سعاده في مؤلفه العلمي " نشـــوء الأمم " :
" لم يوجد للدولة بل الدولة للشعب " وهذا الشعب المؤلف من الملايين هو الذي تمثّله الدولة وتعبّر عن ارادته وعليها ان تعمل من اجل تحقيق جميع قضاياه .

سادساً : صيانة سلامة الدولة

قال سعاده : " للأمة مصلحة وللدولة غرض . وغرض الدولة هو تحقيق مصلحة الأمة وصيانتها ... "
ومصلحة الأمة تعني الخير والبحبوحة لجميع ابنائها بزيادة الا نتاج واستمرار نموه ، وحماية موارد الامة وثرواتها الطبيعية والابداعية .
وهي تعني ايضا توسيع آفاق المعرفة ، وتطوير العلوم المفيدة، وابداع الفنون الجميلة ، وتحسين نوعية الصناعة والزراعة وترقية العلاقات التجارية في داخل البيئة وخارجها .
ولتحقيق هذه المصالح المهمة المتقدمة ينبغي وجود دولة سليمة قوية قادرة على تحقيق كل ما من شأنه ان يصون حقوق الأمة ويرفع من شأنها ويوفِّر لها حياة التقدم والازدهار . وهذا الامر المهم يجعل من الحفاظ على سلامة الدولة شرطا أساسيا ضروريا لا تتحقق مصلحة الأمة بدونه والدولة التي عناها المبدأ الاقتصادي القومي الاجتماعي هي ليست دولة مدينة أو منطقة .

وليست دولة فئة أو طائفة . وليست دولة مذهب فكري أو رسالة دينية . وهي فوق ذلك ليست دولة امبراطورية أو دولة تحالف دول في مواجهة تحالف دول أخرى تنازعها السيطرة على مناطق نفوذ ان الدولة التي عناها المبدأ الاقتصادي القومي الاجتماعي هي بالضبط دولة البيئة الطبيعية ذات الدورة الحياتية الواحدة الاجتماعية الثقافية الاقتصادية السياسية . دولة المجتمع الأتم .
دولة الأمة التامة . دولة جميع أبناء الأمة في جيلهم الحاضر وفي كل أجيالهم ألآتية . انها الدولة القومية التي غرضها أو غايتها هي تحقيق جميع مصالح الأمة العامة المادية والروحية فاذا خرجت الدولة على هذه الغاية وتخلّت عنها فقد فقدت الدولة مبرر وجودها واصبحت بلا قيمة وغير ذي فائدة . ولهذا فقد كانت سلامة الدولة في المذهب القومي الاجتماعي الاقتصادي من الأمور المهمة والأساسية التي لا يجوز ولا يمكن اغفالها وتجاهلها .
ان دولة غير سليمة لا يمكنها ابدا ان تحقق قضية الامة وتحافظ على حقوقها ومصالحها .
مهمة الدولة اذن ، ليست كما في النظام الرأسمالي ترك العملية الاقتصادية للظروف والصدف والتفلّت والفوضى والجشع الفردي والسوق والعرض والطلب باسم الحرية الشخصية ، ولا للتدخل والسيطرة والاستبداد والتملك والعبث بالاقتصاد بحيث تحتل الدولة مكان الاقطاعي الجائر المستبد باسم المحافظة على حقوق العمال ، وهي نفسها التي استهانت بحقوقهم وقتلت روح المبادرة فيهم . ان مهمة الدولة وسياسة الدولة ووظيفة الدولة هي الاهتمام بكل ما يحقق مصالح الامة واغراضها ومثلها العليا بتنظيم الاقتصاد ، وترتيب العلاقات الاقتصادية وتعزيزها وتشجيع كل مبادرة تؤدي الى زيادة الانتاج وتجويده ، وضبط العملية الاقتصادية وتقسيم العمل الى اختصاصات وحرف ومهن ، وتعزيز روابط التعاون بين ابناء المجتمع ، وتقوية العلاقات الاجتماعية بين العاملين والمنتجين وزيادة الثروة والخيرات لتوزيعها على ابناء المجتمع بشكل متوازن بحيث

يشمل جميع مصالح المجتمع الحيوية والنفسية والسياسية المادية منها والروحية . وكل هذا لا يتم ولا يتحقق الا بتنظيم الاقتصاد على اساس العمل والانتاج اللذين يشكلان قطبي الاقتصاد القومي الاجتماعي الذي يصلح لكل الامم .
وليس نظام المراهنة والمقامرة والسلب والسرقة والجشع والعدوان الذي تعتمده الدول الاستعمارية وتسميه النظام الاقتصادي الرأسمالي الحر . ولا هو نظام عصابة سيطرت على مقدرات الدولة واستخدمتها سلطة وقانونا وعسكرا واستعبدت الملايين باسم الدولة وسمته نظاما اشتراكيا لخدمة الكادحين . إن واقع كروية الارض هو واقع بيئات جغرافية طبيعية . وواقع البشر على الارض هو واقع جماعات ومتحدات قومية . ولا يمكن الغاؤه وانكار الحقيقة الا اذا صارت الارض مسطحة وبيئة واحدة وانعدمت الحواجز الطبيعية والثقافية والجغرافية وصارت البشرية مجتمعا واحدا وثقافة واحدة وحضارة واحدة ومستوى فكري نفسي تمدني واحد .
ان واقع العالم وحقيقته هو واقع أمم قومية . وواقع التطور في العالم هو واقع مراتب تطورية . وواقع مستوى الرقي الانساني هو واقع مستويات انسانية . لكل هذا لا يجوز ولا يحق الكلام عن نظام اقتصادي واحد يمكن ان يطبَّق على جميع الشعوب .
فضرورات الامم وحاجاتها ومتطلباتها وثقافاتها وكمالياتها ونشاطاتها ومواهبها متنوعة ومختلفة ومتميزة ومتعددة ولا تخفى هذه الحقائق الا على الذين يتجاهلون ويتعامون ولا يريدون ان يقروا بالحقائق الساطعة .
ولا بد من الاشارة هنا الى أنه لا يوجد عندنا في الوقت الحاضردولة قومية بالمعنى الصحيح ، وكل ما عندنا هو حكومات نشأت بعد اتفاقية سايكس – بيكو وكانت شرعيتها من تلك الاتفاقية .
والحكومة كما هو معلوم غير الدولة، لأن الدولة شيءوالحكومة شيء آخر .
ولكن اذا كانت الدولة القومية السليمة غير موجودة حاليا ، فهل يعني ان علينا ان نقف مكتوفي الأيدي ونصرف النظر عن العمل

من اجل ايجاد دولة الأمة القومية التي من اهم اغراضها ومقاصدها تحقيق مصلحة الأمة ؟ .
الجواب البديهي والطبيعي هو : لا . لقد تجزأت سوريا الطبيعية بعد اتفاقية سايكس بيكو الى عدد من الكيانات ، ونشأ فيها عدة حكومات هي لبنان والشام والعراق وفلسطين والأردن والكويت وقبرص . وهذا ما حصل ايضا لجميع المجتمعات العربية حيث نشأت حكومات متعددة في بيئة المغرب العربي هي : المغرب والجزائر وتونس وليبيا ، وكذلك حدث في بيئة وادي النيل فنشأت حكومات : مصر والسودان . وتجزأت ايضا بيئة شبه الجزيرة العربية الى عدد من الحكومات في السعودية واليمن وسلطنة عمان والامارات . واصطنعت الدول الاستعمارية الكيان اليهودي الصهيوني ليمنع الحكومات المحلية من التلاقي ، وليعرقل أي تقارب بين أي من كياناتها المستحدثة بغية تفتيت ألأمة والقضاء على وحدة الوطن . وبغية القضاء على أي أمل بنشوء جبهة عربية قوية وقادرة على الوقوف في وجه المخططات الاستعمارية وتفشيل مشاريعها ولذلك فان من أولى واجبات حكوماتنا المحلية ان تزيل الحواجز المصطنعة بينها ، وان ترسِّخ علاقات التفاهم والأخوة لتخرج من الدهاليز المظلمة التي وضعها فيها المستعمرون . فليس للبنانيين حقوق في كامل الوطن اكثر مما للكويتيين . وليس للعراقيين حقوق في هذا الوطن اكثر مما للفلسطينيين . وليس للشاميين حقوق في سوريا اكثر مما للأردنيين والقبرصيين . ان ارض الوطن هي لجميع الكويتيين والعراقيين والشاميين والأردنيين واللبنانيين والفلسطينيين والقبرصيين وكل من يتفاعل ويندمج ويدخل في نسيج هذه الأمة في المستقبل . وعليهم ان يصارعوا ويعملوا جميعا من اجل وحدة ألامة ووحدة الوطن حتى لو بقي كل منهم متمسكا بحكومته. واذا لم يتمكنوا من انشاء حكومة واحدة او كيان واحد فليكن لهم على الأقل مجلس تعاوني تفاهمي تناغمي واحد يتعاونون فيه جميعا على تحقيق مصالحهم واغراضهم ورفع مستوى حياتهم . وهل أجمل وانفع من ان

يلتقوا أخوة بشكل شهري ودائم لدراسة أحوالهم ، ورسم خطة لمستقبلهم ،وانشاء هيئة من رووٴساء هذه الكيانات لمتابعة تنفيذ تلك الخطة ؟

والذي نرجوه ونتمناه ونعمل له هو ان يبادر ولو كيان واحد في كل بيئة عربية الى فتح حدوده امام ابناء شعبه في بيئته الطبيعية وينسّق مع الكيان الذي بجواره لخلق واقع جديد مزيلا الحواجز المصطنعة النفسية والمادية التي مزقت مجتمعاتنا العربية وجعلت الجبهة العربية بعيدة التحقق والتي نراها في فلسفتنا القومية الاجتماعية ونظامنا السياسي القومي الاجتماعي وتنظيمنا الاقتصادي القومي الاجتماعي أمرا محسوما وواقعا منتصرا حتى لو أردنا ان نفر منه لما وجدنا الى الفرار من سبيل .

بعد كل ماورد في هذه الدراسة يحسن بن ان نذكر ما جاء في مقدمة كتاب" نشوء الأمم " للمعلم انطون سعاده حيث يقول :

" ... ولقد كان ظهور شخصية الفرد حادثا عظيما في ارتقاء البشرية وتطور الاجتماع الانساني . أما ظهورشخصية الجماعة فأعظم حوادث التطور البشري شأناً وأبعدها نتيجة وأكثرها دقة ولطافة وأشدها تعقداً ،اذ أن هذه الشخصية مركّب اجتماعي- اقتصادي- نفساني يتطلب من الفرد أن يضيف الى شعوره بشخصيته شعوره بشخصية جماعته ، أمته ، وأن يزيد على احساسه بحاجاته احساسه بحاجات مجتمعه وأن يجمع الى فهمه نفسه فهمه نفسية متحده الاجتماعي وأن يربط مصالحه بمصالح قومه وأن يشعر مع ابن مجتمعه ويهتم به ويود خيره كما يود الخير لنفسه "

وقال ايضا في فصل

" الأرض وجغرافيتها " من الكتاب نفسه : " لا بشر حيث لا أرض،ولا جماعة حيث لا بيئة ، ولا تاريخ حيث لا جماعة . " الى ان قال في فصل " المجتمع وتطوره من الكتاب : " فالاقتصاد هو نقطة الابتداء في بحث حالات الاجتماع حتى أننا نرى الحالة الاقتصادية تُؤثّر على الحالة البيولوجية أحياناً . والتطور الاجتماعي هو دائماً على نسبة التطور الاقتصادي ."

بناء على كل ما تقدم ينبغي أن ينظر للاقتصاد بمنظار المجتمع الموحد . مجتمع الأمة . مجتمعية الاقتصاد وقوميته . وهذا يعني الابتعاد عن التضييق والتوسيع بل النظر المتوافق مع الواقع الطبيعي الحياتي . فلا فئوية محلية ولا شراكة رأسمالية استعمارية ولا شيوعية حتمية عالمية .

ان واقع الكرة الارضية واقع بيئات طبيعية . وواقع البشر على الارض واقع مجتمعات . وواقع تاريخ تطور الانسانية واقع تواريخ وثقافات .

وبما ان التطور الاجتماعي هو دائما على نسبة التطور الاقتصادي فان واقع الاقتصاد في العالم هو واقع اقتصادات او اقتصاديات وليس واقعا اقتصاديا واحدا لجميع الامم . وهذا ما يلاحظ بجلاء وما هو ظاهر في مستويات تحضر الامم وتمدنها وتقدمها .

سمات النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي

أ ــ قومية الاقتصاد :

ان قومية الاقتصاد تعني بأن وحدة المجتمع القومي هي الاساس الطبيعي لقيام نظام اقتصادي قومي . أي وحدة الأمة بتعاقب اجيالها. وهذا ما عبر عنه المبدأ الأساسي السادس من مباديء الحركة السورية القومية الاجتماعية القائل :" ألأمة السورية

مجتمع واحد . " وهذا المجتمع الواحد هو المعبّر عنه في المبدأ الأساسي الرابع الذي يقول :" الأمة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي " وهذه الأمة لم تنشأ في فراغ ، بل نشأت في بيئة جغرافية طبيعية معينة وذات حدود. وهذه البيئة الطبيعية عرفها المبدأ الأساسي السادس بأنها :"الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية . وهي ذات حدود جغرافية تميزها عما سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال الغربي وجبال البختياري في الشمال الشرقي الى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب ، شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة . ومن البحر السوري في الغرب ، شاملة جزيرة قبرص ، الى قوس الصحراء العربية والخليج العربي-الفارسي في الشرق (وتوصف بالهلال السوري الخصيب ونجمته جزيرة قبرص)

هذا المجتمع الطبيعي القومي هو أمة . وهذه الأمة لا تقتصر على أفراد جيل واحد أو عدة أجيال بل تشمل أجيال الأمة منذ بداية التاريخ الى نهاية تاريخ البشر.ولأن مجتمع الأمة يتكون من البيئة الجغرافية الطبيعية التي يقيم عليها شعب متفاعل معها ، ومن شعب متعاقب عبر أجياله ومتفاعل مع أرضه عبر الزمان ، فقد ارتكز المبدأ الأساسي الأول على هذه الحقيقة ليعلن حقيقة مبدأ الملكية الطبيعية الاقتصادية الأساسية فيقول:

" سورية للسوريين والسوريون أمة تامة "

أي أن سورية الوطن هي ملك السوريين الأمة وأن

السوريين ألأمة هم أمة تامة راشدة ناضجة لا تحتاج الى وصي ولا الى وكيل
يرعاها ويقوم بتدبير شؤون حياتها .
ان ارض الوطن هي ملك عام ، وحق طبيعي قومي من حقوق الأمة الأساسية .وبما أن الأمة هي أفرادها في الماضي والحاضر والمستقبل فانهم هم جميعهم المالكون لأرض الوطن ولا يحق لأي فرد منهم أن يتنازل عن أي شبر من ارض الوطن إلا بموافقة جميع أبناء ألأمة الراحلين والحاضرين والآتين . وبما ان هذا الأمر من المستحيلات ، فإن الحق الوحيد الذي تمنحه الأمة لأبنائها على أرض الوطن هو حق الانتفاع والاستغلال والتمتع والعيش الكريم . وان التفويض الوحيد الذي تعطيه الأمة لأبنائها هو المحافظة على كيانها وسلامة وجودها وحماية ابنائها ووحدة أرضها ، والعمل على تحسين مستوى حياتها وتأمين مصالحها وتحقيق أجمل وأخير وأرقى وأسمى مثلها .

ب – اجتماعية الاقتصاد

أما اجتماعية الاقتصاد فإنها تتناول الأمر الداخلي بحيث تنظر الى المجتمع كوحدة حياة في وحدة وطن لها دورتها الاجتماعية الواحدة ودورتها الاقتصادية الواحدة واقتصادها يقوم على اساس وحدة المجتمع- الامة ولخير المجتمع- الامة وليس على اساس فردي وعائلي او فئوي او شركاتي او مذهبي او طبقي او تحالفي او مناطقي او قاري او انترنسيوني . كما انه لا يمكن ان يقوم على اساس فوضوي وصدفي وعشوائي او لصوصي واحتيالي وانتهازي أو تسلطي واكراهي واستعماري . انه بالفعل اقتصاد اجتماعي مجتمعي قومي . يبدأ بالمجتمع ويتحقق في المجتمع ويتجه لتحقيق مصلحة المجتمع في الغنى والرفاهية والازدهار.ولهذا كان المبدأ الاساسي الثامن هو :"مصلحة سوريا فوق كل مصلحة . " أي مصلحة الأمة قبل وفوق جميع المصالح الخصوصية والفئوية الضيقة

وقبل وفوق جميع المصالح الاستعمارية المؤذية والضارة بمصلحة
المجتمع- ألأمة .
ولما كانت مصلحة الامة لا تتأمن ولا تتحقق الا بوحدة المجتمع ووحدة اتجاهه ووحدة ومتانة جهوده ، فإن المبدأ الاصلاحي الثالث من مباديء الحركة القومية الاجتماعية الذي هو : " إزالة الحواجز بين مختلف الطوائف والمذاهب . "
كان تحقيقا عمليا لتأمين وتوطيد وحدة المجتمع التي تخدم وحدة الاقتصاد المجتمعي الذي يخدم ويضمن مصلحة المجتمع الاقتصادية .
وبما ان افراد المجتمع هم امكانيات وفعاليات وطاقات المجتمع الحيوية التي لا تنفصل عن المجتمع ولا المجتمع بغنى عنها ، فإن على الافراد واجب العمل والانتاج لإغناء وحدة المجتمع وتمتينها وترقيتها لأن في إغناء وحدة المجتمع إغناء لكل عضو من أعضائه . اما التنازع الفردي والفئوي والمذهبي والطبقي والنقابي فليس فيه الا تعطيل طاقات المجتمع وهدر ثرواته وتضييع جهوده واضعافه وافقاره وجعله لقمة سائغة بين اشداق الطامعين والمتسلطين على الشعوب الفقيرة والمستضعفة وقد جاء مبدأ:
" يجب على كل مواطن أن يكون منتجاً بطريقة ما "
حاسما في ايضاح المنحى الاجتماعي الانتاجي للنظام الاقتصادي القومي الاجتماعي الذي ركّز على اقامة مجتمع المنتجين وليس مجتمع المركنتيليين أوالمقامرين أوقطاع الطرق أواللصوص أوالغزاة أو الانتهازيين أو المتسولين أو الطفيليين أو المستسلمين
للأوهام والحظوظ .
ان سمة هذا النظام ليست رأسمالية ليبرالية ولا اشتراكية ولا شيوعية ولا تعاونية بل اجتماعية مجتمعية . ولا يخفى الفرق الجوهري أمام الفهيم بين كل هذه الألفاظ المتقدمة . فاذا كانت

ليبيرالية الرأسمالية تقوم على مهارة وحذاقة وخداع وانتهازية الفرد التي تثري وتغني القلة من الناس وتفقر الكثرة منهم ، واذا كانت اشتراكية الاشتراكي تقوم على طلب وطمع الاشتراكي بالاشتراك بالتمتع بأموال غيره من المواطنين وسلب الأثرياء أموالهم وتوزيعها على الفقراء بحيث يتساوى الناس في الفقر ، وتقوم الشيوعية على مبدأ الاسترخاء بحجة ان كل شيء هو ملك الجميع ويجب ان يكون شائعا بين جميع الناس في كل الأمم بحيث يتساوى العامل والخامل ، وتقوم التعاونية على تأسيس الشركات التعاونية التي تهتم فقط بإفادة مشتركيها مما يؤدي في النهاية الى قيام المحاور المتعددة في داخل المجتمع الواحد ، فإن ألأجتماعية المجتمعية هي الحضن الطبيعي للمواطن الذي لا يختاره الا بقدر ما يختار والديه . فالمواطن اجتماعي طبيعي بالولادة . واجتماعي طبيعي بممارسة حياته . واجتماعي طبيعي باستمراره في هذا الوجود . والنظام الامثل والنموذجي لتقدمه واستمرار التقدم هو النظام الاقتصادي الاجتماعي المجتمعي .

ج – تنظيمية الاقتصاد

القول بتنظيمية الاقتصاد أو تنظيم الاقتصاد يعني اعتماد الوعي والمعرفة . فاللاوعي والجهل يقودان فقط الى اللانظام والفوضى .ولحصول الوعي والمعرفة لا غنى عن العقل . ولذلك فان تنظيمية الاقتصاد تعني ان العقل المدرك المميز المنظم هو الشرع الأساس في عملية تنظيم الاقتصاد . وليس لأي شيء آخرأي دور في عملية التنظيم الاقتصادي . والعقل الذي نعنيه ليس العقل الفردي الجزئي بل هو العقل المركب المجتمعي . فلا شطارة الانتهازي الرأسمالي ، ولا صدفية وظروفية العرض والطلب،ولا الدعايات الخادعة ولا ممارسة السلب والنهب ، ولا العدوان والسيطرة

العسكرية ،ولا كل الأشكال التسلطية الثقافية والعسكرية والاقتصادية ، وليست كل هذه الأمور المتقدمة هي التي تنظم الاقتصاد على اساس استغلال جهل وفقر وعجز وضعف المجموع الاكبر من المواطنين .

بل ان العقل المركب الاجتماعي هو الذي ينظم الاقتصاد على أساس الانتاج الوفير في جميع الحقول الانتاجية ، فيكون الانتاج الوفير برعاية وصيانة العقل الاجتماعي هو السبب الرئيسي لتوزيع الغنى لا توزيع الفقر على جميع ابناء الأمة بالشكل الذي يضمن مصلحة الأمة وسلامة الدولة التي ترعى وتهتم بمصالح الأمة .

قال سعاده :" نحن نحترم النظام ولكننا أنشأنا نظاما جديدا أساسه الحق والعدل ، ونرفض كل نظام أساسه الظلم والباطل ."

وقال أيضا :" ان الأخلاق هي في أساس كل نظام يمكن أن يُكتب له النجاح ."

هذا هو النظام او التنظيم الاقتصادي القومي الاجتماعي .

أساسه حق الآمة بتأمين حقوق جميع مواطنيها الاساسية في العيش والمأكل والمشرب والمسكن والملبس والتعليم والتطبيب والعمل بحرية وكرامة دون تمييز بين مواطن ومواطن، وكذلك باحترام حقوق المتفوقين منهم في جميع ميادين الانتاج وتكريمهم بما يليق فلا يتساوى المتفوق بغير المتفوق ، ولا يكون المبدع وغير المبدع في التكريم سواء . بل بما يضمن للعدالة قيمتها واهميتها في نظام أساسه الحق والعدل . والحق والعدل ان يصبح الفقير غنيا ، وان يزداد الثريّ غنى . وثراء الفقير والثري لا يتوفر إلا بثراء وغنى المجتمع الحاصل من عمل الجميع وانتاج الجميع.

هذا هو الاقتصاد القومي الاجتماعي : تحقيق الغنى وتوزيع الغنى على جميع أبناء الأمة في الداخل ، ومساعدة الشعوب

الضعيفة على النهوض في الخارج لتحقيق التعاون السليم والناجح بين الأمم .
وانسجاما مع المبدأ القائل بأن المواطن يجب ان يكون منتجا وليس طفيليا في المجتمع ولا متسولا، فإن:
" لكل مواطن نصيبه العادل من الانتاج "وهذا النصيب هو حق مقدس من حقوقه ولا يحق لأية جهة كانت ان تدعي وتطالب بحرمانه هذا الحق.
والعدالة في توزيع حاصل الانتاج لا تعني أبدا أن نوزّع جميع حاصلات الانتاج كلها على المواطنين المنتجين بل تعني ان يتم التوزيع بما يحفظ حقوق الأمة في استثمار ما يجب استثماره من اجل اجيالها الآتية ، وفي ادخار ما ينبغي ادخاره من اجل ابنائها الذين ما يزالون في رحم الغيب ، وفي ترميم وصيانة تراثها التاريخي وآثارها الجميلة ، وفي المحافظة على سلامة الدولة القومية الاجتماعية التي هي المظهر الثقافي التنظيمي الضابط والمعتني بكل مصالح الامة المادية والمعنوية ومن ضمنها حقوق ابنائها العاملين المنتجين في الحياة الكريمة والمرفهة جيلا بعد جيل الذين وصفهم سعاده بأنهم :
" أوردة الحياة وشرايين القوة في جسد الأمة السورية الحيّ ، وانهم الأمة خلقاً وانتاجاً وتشييداً " .
وبما ان انسان- الأمة انسان حيّ ، خلاّق ، منتج وبنـّاء فإن حياته هي دائما في تقدم ورقيّ ، وان حاجاته النفسية والمادية هي دائما في تزايد،وان مطامحه هي ابدا في تعاظم .ولذلك فان على نظامه الاقتصادي أن يتوافق مع تقدمه ورقيه ويلبي حاجاته ومطامحه في تشريعات وقوانين اصلاحية مستمرة باستمرار نموّ المجتمع عبر الزمن . واستمرار تشابك مصالحه مع مصالح المجتمعات الأخرى .

الغاية من الإقتصاد

أ – تحقيق مصلحة الأمة
ب – تأمين مصلحة كل فرد من أفراد الأمة
ج – تأمين وحفظ سلامة الدولة القومية
د – السعي من أجل انشاء جبهة اقتصادية عربية ترفع من شأن العالم العربي اقتصاديا وتلبي كل حاجات الشعوب العربية الضرورية والحاجية والكمالية .وبتحقيق الجبهة الاقتصادية العربية يكون لكل المجتمعات العربية مكانتها اللائقة بين اقتصاديات ألأمم ، ودورها الفعّال في تحسين حياتها وحياة البشرية .
ه – تشارك شقيقاتها العربيات في الجبهة الاقتصادية العربية لمساعدة الامم الضعيفة على تقوية اقتصادها من اجل تحقيق أعلى مستوى تعاوني بين جميع الأمم للقضاء على الفقر في العالم وترسيخ قواعد جديدة للتعاون الاقتصادي العالمي تقوم على اساس احترام حقوق الأمم في الحياة الكريمة والعلاقات الراقية انطلاقا من مبدأ كون العالم واقع أمم.

نستخلص من كل ما أوردناه في هذه الدراسة المباىء الاقتصادية التالية :

أولاً : قاعدة الاقتصاد القومي الاجتماعي هي وحدة المجتمع- ألأمة .

ان المجتمع وحدة . لا اكثرية ولا أقلية . لافئوية ولا مذهبية لا طبقية ولا نقابية . لا مناطقية ولا تكتلية . لا حزبية ولا اقطاعية . لا جيلية ولا عنصرية . انها وحدة حياة المجتمع على ارضه الوطنية منذ بداية التاريخ الى ما سوف يكون التاريخ وما سوف تكون الارض على الكوكب الذي يعيش عليه البشر.
وبهذا يكون لكل مجتمع في العالم نظامه الاقتصادي الخاص به المتوافق مع طبيعته وامكاناته وحاجاته وموارده ومستوى

ثـقافته ودرجة حضارته ومواهب أبنائـه . وليس للعالم نظام اقتصادي واحد وان تشابهت طبائع البشر .

ثانياً : وحدة مجتمع الأمة تعني وحدة الأرض الجغرافية

وحدة المجتمع ـألأمة تعني وحدة الارض الجغرافية ووحدة الشعب المتفاعل مع الارض جيلا بعد جيل والمنشيء للتاريخ والحضارة . وكوكب الارض الذي نعيش فيه وعليه ليس سهلا منبسطا مسطحا بحيث تشكل الارض بيئة طبيعية واحدة من حيث المناخ والرطوبة والبرودة والمواد الطبيعية وتوفر موارد الحياة بل ان الارض هي واقع بيئات جغرافية متعددة متنوعة مختلفة . وواقع البشر هو واقع جماعات وليس واقع جماعة واحدة وكل فرد من البشر هو ابن بيئة طبيعية معينه ولا يستطيع العيش والبقاء منفردا منعزلا وان كان بامكانه ان يغير بيئته وينتقل ويعيش في بيئة أخرى . انه دائما بحاجة الى العيش ضمن الجماعة ولا بقاء له بدون ذلك . وهذا يعني أيضا بان النظام الطبيعي الذي لا مهرب منه هو ان يكون لكل مجتمع نظام اقتصادي خاص يتناول حياة المجتمع كله في الداخل ومصلحة المجتمع كله حاليا واستمرارا عبر أجياله وليس لمصلحة فرد اوافراد او فئة او طائفة او مذهب او طبقة او منطقة كما ان النظام الاقتصادي الخاص بكل مجتمع هو نظام غير منعزل ولا منفصل نهائيا عن الأنظمة الاقتصادية في العالم بل هو نظام متواصل مع جميع الانظمة الاقتصادية الاخرى فكما يتصل الفرد ضمن المجتمع بغيره من أبناء الأمة ، فالأمة كذلك تتصل وتتواصل مع غيرها من ألأمم .

وكما لا يجوز ولا يحق لفرد ضمن المجتمع ان يستأثر بكل شيء ويسخّر جهود ابناء الامة لمصلحته الخاصة الآنية الخصوصية ،فكذلك لا يجوز ولا يحق ان تستأثر أمة من ألأمم بكل شيء وتُسخّر جهود ألأمم وموارردها وثرواتها لمصالحها الخاصة الخصوصية .

نستنتج من هذا الشرح ان مبدأ الملكية الطبيعية السليم والعادل في الاقتصاد هو مبدأ ملكية الأمة أي مبدأ ملكية ألأمم وليس مبدأ ملكية الفرد او شراكة عدة افراد في المجتمع الواحد ، ولا هو مبدأ ملكية أمة واحدة اوتحالف مجموعة من الأمم لكوكب الارض وموارده وثرواته على الصعيد العالمي .
الأمة هي المالك الطبيعي والحقيقي للوطن وكل ما فيه من مواد وثروات وانتاج مادي وروحي وابداعي . وكل أمة هي مالك طبيعي وحقيقي لوطنها وما يحتوي عليه .
الوطن هو بيئة ارضية طبيعية دائمة الوجود ومالكها الطبيعي والحقيقي هو المجتمع- الأمة الدائم الوجود وليس الشخص الزائل . فالأفراد يأتون ويذهبون . يولدون ويموتون . والأجيال ايضا تتوافد وتتعاقب اما الوجود الدائم والإنسان المستمر فهو الانسان- المجتمع- الامة.
ولهذا يجب ان نفرق بين ما هو دائم وما هو زائل ، ونميز بين من هو الدائم ومن هو الزائل فتكون الملكية الدائمة للشخصية الدائمة .والملكية الزائلة للشخصية الزائلة . وحتى لو قدر للشخصية الزائلة ان تستمر امدا طويلا ، فانها لا تستطيع الاستمرار الا من ضمن مجتمع . ولا تستمر الا بأجيال المجتمع .
وهذا ما يدفعنا الى الفصل بين العام الذي يتناول حياة الجماعة وبين الخاص الذي يتناول حياة الاشخاص . وهذا لا يعني ان هناك فصل او انعزال تام بين الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية .
بل نحن نجزم ان الشخصية الفردية هي في الشخصية الاجتماعية ولا وجود لها ولا حياة ولا دوام الا بوجود وحياة ودوام الشخصية الاجتماعية . ولا حق ولا حرية ولا تقدم الا بحق وحرية وتقدم

المجتمع . وان الشخصية الاجتماعية هي الحاصل التاريخي الحضاري لتفاعل الشخصيات الفردية فيما بينها ومع وطنها عبر الاجيال والازمنة منذ بداية الحياة على الارض والى ما لا يمكن تصوره في غياهب المستقبل . لذلك كانت الامور الاساسية والضروريات الحياتية الحاجية هي حقوق طبيعية لأبناء المجتمع لا يمكن نكرانها ولا التغاضي عنها لأنها حقوق طبيعية مقدسة كالمسكن والطعام والشراب واللباس والتعلم والطبابة والأمن وتوفير الفرص والظروف والامكنيات وكل ما يساعد ابناء المجتمع على النمو والازدهار والحياة الراقية ، لأن في توفير وتأمين وحماية هذه الحقوق كل الخير وكل الرفاهية والسعادة للمجتمع ولجميع ابنائه دون تمييز . ووظيفة الدولة التي هي مظهر الأمة السياسي التنظيي الحضاري هي رعاية وتدبير وضبط وتنظيم وتوفير وصيانة والدفاع عن تلك الحقوق الاساسية لكل مواطن . ولا معنى للقول بدولة قومية ان لم تساوي بين جميع رعاياها في الحقوق الاساسية الحيوية ، وتعدل في تحميلهم المسؤليات والواجبات . ان ملكية كل ما هو دائم وعام هي ملك الآمة وان ملكية كل ماهو زائل وخاص ومستهلك هي ملكية الافراد . لذلك تكون ادارة المصالح العامة دائما بيد الدولة المؤتمنة على مصالح الامة . وتكون ادارة المصالح الخاصة تحت تصرف الافراد المؤتمنين ايضا على مباديء الاخلاص لأهداف الامة ومثلها العليا .

فاذا كان الافراد مكرهين على العمل في شركة الدولة الاحتكارية الاشتراكية او الشيوعية المسيطرة على كل المرافق في البلاد في النظام الدكتاتوري التوتاليتاري، واذا كانوا مجبورين على العمل لكي يعيشوا في ظل اقسى شروط الشركات الاحتكارية الرأسمالية الفردية المستخدمة كل اساليب الخداع والسرقة والنهب واستعباد الشعوب الضعيفة الفقيرة في ظل انظمة الاستعمار والتسلط ، فان ابناء الامة القادرين على العمل والانتاج والابداع لا يعملون خوفا من استبداد دولة سيطرت عليها زمرة فاسدة تستعبد الناس. ولا يعملون لتكريس نفوذ شركات رأسمالية تحالفت ضد مصالح

شعبها والشعوب الاخرى. ان ابناء الامة في النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي وفي نظام الدولة القومية الاجتماعية السياسي يعملون من اجل قضية عظمى تساوي كل وجودهم مجتمعا وافرادا . حاضرا ومستقبلا .

ثالثاً : وحدة مجتمع الأمة

وحدة المجتمع ـ ألأمة ، تتطلب لضمان سلامتها ، المحافظة على سلامة جميع عناصرها ومكوناتها وكل خلية فيها لتستمر موحدة وسليمة ونامية ومتطورة ومتقدمة ولما كان أفراد المجتمع هم الخلايا الحيّة ، والامكانات الفاعلة ، والفعاليات المتطورة والطاقات الابداعية ، والقوى السلبية في مواجهة الكون والآفاق الماثلة أمام الانسان ، فإنه ينبغي ويجب على كل فرد من أفراد المجتمع أن يكون عاملا منتجا ناميا مبدعا لتأمين وحدة المجتمع وسلامته ونموه وتقدمه كما ينبغي ويجب ان يكون كل تنظيم او مظهر تنظيمي لمصلحة المجتمع في الحفاظ على سلامة وعافية وتنامي وتقوية جميع اجزائه وعناصره ومكوناته وطاقاته بما يضمن وحدة المجتمع وسلامته ، وصحة تنظيماته ، وعافية فعالياته واستمرار نهوضه ورقيه .

وبما ان المسؤولية ترتب على كل فرد ان يكون عاملا منتجا مبدعا بأية طريقة من طرق العمل ، وفي أي حقل من حقول الانتاج ، وعلى أي مستوى من مستويات الابداع . فإن أية مؤسسة تنظيمية أو هيئة عامة هي مسؤولة وعليها واجب الرعاية العادلة والحكيمة لجهة توفير النصيب العادل من حقوق العاملين المنتجين المبدعين .فلا تبخس أحداً حقه ، ولا تظلم أحداً ، ولا تميز بين أحد وأحد الا بمقدار ما يعمل وينتج ويبدع .

فالانتاج هو انتاج الجميع ، وانتاج الجميع يجب ان يكون للجميع . ولا يشترط الا العدل في التوزيع بما يضمن حقوق المنتجين وتأمين مصلحة الأمة والدولة وضمان حياة الكرامة للأجيال القادمة .

بهذا نقرر ان كل أمة يجب أن تكون منتجة ومتطورة وحضارية وناهضة لتأسيس قاعدة التلاقي الامـمي العالمي بحيث تتعاون جميع الامم وتساهم في ايجاد ونشوء عالم ناهض حضاري جديد تتبادل امه المعارف والخبرات والعلوم والفنون والمنتوجات والمحاصيل وكل ما من شأنه أن يرسّخ قواعد التلاقي، ويوطّد أسس التعاون والتفاهم ، ويؤدي الى ما يجعل الانسان في كل مكان من الارض جديراً بالحياة العزيزة . وبهذا تتضح صورة النظام الاقتصادي العالمي المبني على أسس الاقتصاد القومي الاجتماعي الانتاجي الابداعي لكل مجتمع . وكما ينال كل فرد نصيبه العادل من انتاج المجتمع القومي الاجتماعي ، كذلك ينال كل مجتمع من المجتمعات الانسانية نصيبه العادل من انتاج الامم المتعاونة في نظام الاقتصاد العالمي المركب والمكوّن من تشارك وتعاون جميع الأمم . وكما يكون نصيب الفرد داخل المجتمع بمقدار ما يعمل وينتج ويبدع ، كذلك يكون نصيب كل مجتمع بحسب ما ينتج ويبدع ويتفوق . وهذا هو النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي توزيع الثراء والغنى على الفقراء والأغنياء داخل المجتمع المعني فيصبح الفقراء أثرياء ويزداد الاغنياء ثراء. وتأهيل المجتمعات الفقيرة لتصبح منتجة غنية، وزيادة غنى وثروة المجتمعات الغنية لتزداد قوة وغنى فتزداد الانسانية تقدما ورقيا يكونان في خدمة جميع بني البشر ، وتتحرر الانسانية من عبودية القرون المظلمة التي لم تسبب لها الا الويل والخراب .

رابعا : الارض كروية وهي قارات . وكل قارة هي أقاليم .

وكل اقليم بيئات متجاورة . وتجاور البيئات جعل احتكاكاتها وعلاقاتها فيما بينها أمتن واقوى من العلاقات بين البيئات المتباعدة . لذلك كانت الروابط بين البيئات المتجاورة قوية . فالحدود الفاصلة بين أمتين جارتين هي نفسها حدود واصلة . وليس باستطاعة اية أمة ان تنغلق وتنعزل عن جيرانها . بل ان الامم الحضارية المتمدنة هي التي تنفتح على جيرانها لتطل من خلالها على جيران جيرانها وجيران جيران جيرانها لتأخذ وتعطي . لتستفيد وتفيد . لتستورد وتصدر . لتتعلم وتعلّم فتنشيء بذلك الأسواق الاقليمية التي تشكل المعبر السليم والجسر الذي لا غنى عنه ولابد من أجل تأسيس وتمهيد الارضية الصالحة لبناء صرح التواصل العالمي ثقافة واجتماعا وسياسة واقتصادا وعلما وفنا وحياة راقية .

نظام الجبهة العربية الاقتصادي

وما الجبهة العربية في غاية الحركة السورية القومية الاجتماعية الا الجبهة الاقتصادية العربية وحصن الشعوب العربية المنيع الذي يضمن لهم الموقع والمكانة اللائقة بين الشعوب في تعاونها وتعايشها الانسانيين . ولأن سوريا هي إحدى أمم العالم العربي فإن الجبهة العربية التي نصت عليها غاية الحركة القومية الاجتماعية لا تعني فقط الجبهة السياسية والثقافية والعسكرية والحضارية بل تعني ايضا الجبهة الاقتصادية . فالمجتمعات التي تشكل العالم العربي هي مجتمعات أخوة . والأخوة هم عائلة واحدة تتعاون فيما بينها . وعلى الأخوة ان يوحدوا جهودهم ويتعاونوا من أجل صلاح حياتهم وهناء عيشهم وضمان مستقبلهم. وهذا لايتم الا بتنظيم يجمعهم جميعا في ميثاق أخوة صادقة أو تحالف أو اتحاد أو سوق مشتركة أو جامعة أو جبهة واحدة بحيث يستمرون أخوة

صادقين متعاونين دون أن يلغي أحد أحداً او يحل أحد محل أحد ، أو يستهتر أحد بحقوق أحد بل ان القوي هو القوي بمساعدة أخوته وبما يقدّمه لهم من العون
وبقدر ما يدافع عنهم وعن حقوقهم ، وبنسبة ما يستطيع الأخذ بيدهم ويقودهم الى مراقي النجاح والتقدم . ان الجبهة الاقتصادية العربية هي ترجمة عملية لعروبة واقعية صادقة. وهي أيضاً المرحلة الثانية من مراحل الاقتصاد السوري القومي الاجتماعي .
ان الجبهة الاقتصادية العربية هي جبهة اقتصادية مركبة من اربع اقتصادات او اقتصاديات :
الاقتصاد السوري القومي الاجتماعي في بيئة الهلال الخصيب والاقتصاد العربي القومي الاجتماعي في بيئة شبه الجزيرة العربية ،
والاقتصاد المصري- السوداني القومي الاجتماعي في بيئة وادي النيل
والاقتصاد المغربي العربي القومي الاجتماعي في البيئة المغربية التي تضم ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وسائر المتحدات في منطقة المغرب العربي . وليس انفع في هذه الحال من التزام الأخوة وتعاونهم والتنسيق فيما بينهم والعمل على ازالة كل المعرقلات والصعوبات الداخلية في كل بيئة من بيئات العرب لأن في ذلك مصلحة اقتصادية مشتركة للجميع تساعدهم على بناء جبهة اقتصادية عربية مشتركة تعود عليهم بكل خير وأمان .
فاذا كان مبدأ الحياة المشتركة او المشاركة في الحياة الواحدة هو مبدأ وحدة المجتمع-ألأمة ، فأن مبدأ التعاون والشعور بالمسؤولية هو مبدأ العيش المشترك بين الأشقاء ، وكذلك يكون مبدأ التعاون الانساني والعلاقات الطيبة والاحترام المتبادل هو مبدا العالم المتمدن الراقي أو مبدأ التنسيق والتنظيم العالمي الاقتصادي الانساني السليم .

خامسا : ان الاخلاق هي في اساس كل نظام يمكن ان يكتب له النجاح

والنظام الاقتصادي السليم هو نظام اخلاقي يقوم على اساس الحق والعدل . الحق في العمل والانتاج والابداع . والعدل في نوال النصيب العادل سواء كان صاحب النصيب فردا او مجتمعا . وكما يكون العاملون الصالحون فعاليات وطاقات المجتمع الصالح ، فان المجتمعات المنتجة الصالحة هي مكونات واجزاء الانسانية الصالحة . ولا خير في نظام اقتصادي غير اخلاقي وغير صالح . يجب ان نخرج مرة واحدة والى الأبد من حالة المجتمع المتوحش وشريعة الغاب الى حالة المجتمع المتمدن وشريعة العدالة . فالقوة الحقيقية هي قوة الحق والعدل وليست قوة الباطل والظلم . وهذه الاخلاقية الجديدة القائمة على اساس الحق والعدل هي اخلاقية النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي الجديد في داخل المجتمع وفي خارجه . فلا اقطاع في المجتمع ولا وجاهات ، ولا امتيازات ولا محاصصة ولا قوى متنفذة ولا تكتلات ، ولا طبقات ولا احتكارات ، ولا تسلطات ولا سيطرات ، ولا استعمار ولا استغلال ، ولا نهب ولا لصوصية ولا كل ما ما يسيء الى كرامة الانسان وقيمه وفضائله .

انه نظام الحق والواجب . أعظم الواجبات فيه هو الواجب الحق . واعظم الحقوق التي يحافظ عليها ويدافع عنها هو الحق الواجب . وهل أحق وأصلح وأصوب من واجب العمل والانتاج والابداع لتحقيق الثروة الحلال والغنى الشريف ؟!

وهل أوجب وأسلم وأنزه من حق العمل والانتاج والابداع لنوال النصيب العادل والحياة الكريمة ؟!

ان في النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي الاخلاقي كل الخير ليس فقط لكل فرد من أبناء المجتمع، بل لكل جيل من أجياله . وليس فقط

لبعض المجتمعات ، بل للعالم كله في تعاقب عصوره .

سادسا : النظام الاقتصادي القومي الاجتماعي هو نظام مجتمع موحد حيّ منتج دينامي اخلاقي نامي لا يتوقف عن النموّ والتقدم من أجل تلبية حاجات المجتمع ومطالبه ومطامحه .

ولأن المجتمع دائم النموّ ومستمر الرقيّ ، فان تشريعه القانوني الاقتصادي هو ايضا دائم التطور ومستمر التحسن ليلبّي جميع الاحتياجات الطارئة والضروريات المتوالدة ، والمطامح المتكشفة .
فاذا كان القانون التشريعي الاقتصادي ثابتا بالنسبة للمباديء الاساسية الاقتصادية كمبدأ وحدة المجتمع . ومبدأ الملكية العامة أي ملكية ارض الوطن التي هي ملك الأمة . ومبدأ العمل والانتاج بأية طريقة من الطرق النزيهة وفي أي حقل من حقول الانتاج . ومبدأ نوال النصيب العادل من الانتاج . ومبدأ صيانة مصلحة الامة وضمان سلامة الدولة القومية التي هي دولة الشعب كل الشعب ، وليست دولة الارادات الاستعمارية والاقطاع والشركات الاحتكارية واللصوصية والرشوة والفساد .
اذا كان القانون التشريعي الاقتصادي ثابتا بالنسبة الى المباديء الاساسية فانه ليس كذلك بالنسبة للأمور الثانوية والمستجدات الناجمة عن حركة سير المجتمع وتطوره . فكل ما يحتاج الى إكمال يجب ان يكمل . وكل ما ينبغى ان يلغى يجب ان يلغى . وكل ما هو بحاجة الى اصلاح يجب اصلاحه . وكل ما يستلزم التعديل او التغيير يجب ان يغيّر ويعدّل. ولا يجوز الإبقاء الا على كل ما هو صالح لأن كل شيء صالح متعلق بما هو قبله ومتصل بما هو بعده. فحياة المجتمع حركة فاعلة ،

والتطور مستمر ،والابتكارات متواصلة ، والاكتشافات دائمة والتشريعات الاقتصادية وغير الاقتصادية يجب ان تتوافق مع المستجدات .

سابعا : الملكية هي ملكية المجتمع-الأمة.
ومجتمع-الامة هو أجيال المجتمع الطبيعي الذي هو الامة .

والاجيال هي الأفراد الذين ولدوا ويولدون والمستمرون وسوف يستمرون بالتوالد . فكل فرد هو امكانية لها دورها وفعاليتها وشخصيتها ووظيفتها في المجتمع . ولا وجود لها ولا دور ولا شخصية ولا وظيفة خارج المجتمع . ومن حيث كون الفرد كذلك ، فهو مؤتمن ومكلّف ووكيل وقيّم ومسؤول عن سلامة حركة سير المجتمع وسلامة ملكية المجتمع لأرضه الطبيعية وثروته وميراثه وموارده وابداعاته لأن كل هذه الثروات هي ملك الجميع وهو واحد من الجميع وليس فوق الجميع مهما كانت مواهبه، ومهما لمعت عبقريته، ومهما ارتفع نبوغه . ومع انه واحد من الجميع وله ما لكل واحد من الجميع وعليه ما على كل واحد من الجميع ، الا ان النظام القومي الاجتماعي لا يساوي بين العامل والخامل. ولا بين المنتج وغير المنتج . ولا بين الطفيلي والمتفوق . فهو نظام الوعي ونظام شريعة العقل ونظام المعرفة ونظام الانسانية ونظام مستقبل العالم الذي هو محطة لنظام ارقى واسمى اذا كشفت مخبآت المستقبل أن هناك نظام أرقى وأسمى .

ان الفرد هو في الحقيقة من مالكي ارض الامة وثروتها وميراثها لكنه لا يستطيع ان يتصرف بأي جزء من هذه الملكية الا بالاشتراك مع جميع اخوانه الذين رحلوا والذين يستمرون في العيش والذين سيولدون في المستقبل . وحقه الوحيد في فترة حياته هو حق الانتفاع والعيش الرغيد السعيد . والتخويل او

التفويض الاهم له ان يحافظ على ملكية الامة وينمي مواردها ويزيد في خيراتها لأن في ذلك رفع قيمته بين ابناء مجتمعه ، ونواله النصيب الذي يستحقه بتفوقه وهوحتماً اكبر من النصيب الذي يناله غيره من الاشخاص العاديين لأن العدالة تقضي بأن يكون للمبدعين في جميع حقول الانتاج بحسب درجات ابداعهم اذ ليس من العدل الحقوقي ان تتساوى درجات العاملين المتفوقين بدرجات العاملين العاديين . فالتساوي يكون فقط في تأمين الفرص المتساوية للجميع من سكن ولباس وشراب وصحة وتعليم واحترام.

ان ما يقرره النظام القومي الاجتماعي الاقتصادي للفرد هو أهم من الملكية الفردية التي تنته برحيل الفرد . انه يقرر المرتبة العالية التي استحقها الفرد بتفوقه فتبقى متألقة عبر الاجيال ، وتبقى مثالا يحتذى من قبل العاملين الذين يتنافسون على احتلال المراتب العالية في حياة الامة فيكونون المواهب التي تستمد منها نهضة الامة روحها ومباديء رقيها . انهم المالكون للذكرى الطيبة التي لا يستطيع احد انتزاعها منهم الى أبد الدهور .

ثامنا : ان الاقتصاد القائم على اساس العمل والانتاج والابداع هو اقتصاد الثراء الوفير والغنى الكبير .

والاقتصاد الغني هو اقتصاد متعرض دائما للأطماع الداخلية منها والخارجية . اطماع الانانيين واللصوص والانتهازيين والطفيليين وعبّاد الاهواء، واطماع الدول الاستعمارية والشعوب الهمجية المتوحشة لآن شريعة الغاب ما تزال هي المسيطرة في كل انحاء الارض .لذلك لا بد من اتخاذ كل التدابيروالاجراءات

لحماية الثروة القومية من كل انواع اللصوصية والهدر والعدوان بسن القوانين والتشريعات الضابطة لحماية الثروة وصيانتها والدفاع عنها في الداخل الوطني ومن الاعتداءات الممكنة الحدوث من الخارج بانشاء جيش قوي مجهّز باحدث ما يمكن من المعدات ومثقّف بعقيدة قوية نيّرة تجعل منه قوة رادعة يحسب لها المعتدي الف حساب. والى جانب مواجة ومجابهة اللصوصية الداخلية والعدوان الخارجي فان التصدي للكوارث الطبيعية والسيطرة عليها وضبطها هو واجب اساسي ايضا يفرضه الوعي الانساني والعقل وحب المصير السعيد .

الخلاصة

الانسانية بحاجة الى فلسفة جديدة ينبثق منها نظام اقتصادي قومي اجتماعي يكون قاعدة انطلاق لبناء نظام اقتصادي مركب عالمي

نختم هذه الدراسة بكلام للمعلم سعاده قال فيه :

" ان الانسانية بحاجة اليوم ، وأكثر من أي وقت مضى الى نظام بديل آخر تشيد صرح مستقبلها عليه . فليس المكابرون بالفلسفة المادية بمستغنين عن الروح وفلسفته ، وليس المكابرون بالفلسفة الروحية بمستغنين عن المادة وفلسفتها . ان العالم الذي أدرك الآن ، بعد الحرب العالمية الأخيرة مبلغ الهلاك الذي جلبه عليه قيام الفلسفات الجزئية الخصوصية، الفلسفات الأنانية

التي تريد ان تحيا بالتخريب:فلسفة الرأسمالية الخانقة ، وفلسفة الماركسية الجامحة،التي انتهت في الأخير بالاتحاد مع صنوها المادية الرأسمالية ،بقصد نفي الروح من العالم . وفلسفة الروح الفاشية وصنوها الاشتراكية القومية المحتكرة الروح الرامية الى السيطرة سيطرة مطلقة على أمم العالم وشؤونه، هذا العالم يحتاج اليوم الى فلسفة جديدة تنقذه من تخبط هذه الفلسفات وضلالها . هذه الفلسفة التي يحتاج اليها العالم ، هي فلسفة التفاعل الموحد الجامع القوى الانسانية ، هي الفلسفة التي تقدمها نهضتكم . "

" ان اساس الارتقاء الانساني هو أساس مادي- روحي،وان الانسانية المتفوقة هي التي تدرك هذا الأساس وتشيد صرح مستقبلها عليه . "

وقال أيضا : " ان القاعدة الذهبية ، التي لايصلح غيرها للنهوض بالحياة والأدب هي هذه القاعدة : طلب الحقيقة الأساسية الكبرى لحياة أجود في عالم أجمل وقيم أعلى . لا فرق أن تكون هذه الحقيقة من ابتكارك أوابتكاري أو ابتكار غيرك أو غيري، ولا فرق أن يكون بزوغ هذه الحقيقة من شخص وجيه اجتماعيا ذي مال ونفوذ وأن يكون انبثاقها من فرد هو واحد من الناس لأن الغرض يجب أن يكون الحقيقة الأساسية المذكورة،وليس الاتجاه السلبي الذي تقرره الرغائب الفردية ، الخصوصية ، الاستبدادية. ".

من هذه النظرة الواعية الفاهمة الجميلة انبثق النظام القومي الاجتماعي وانبثق منه التنظيم الاقتصادي القومي الاجتماعي الصالح لكل مجتمع من المجتمعات الانسانية الناهضة والمتعاونة على انشاء حضارة مركبة جديدة راقية ينبثق عنها نظام اقتصادي مركب جديد يعود بالخير والرفاه على جميع المجتمعات وبالتالي على جميع بني البشر .

نظام اقتصادي يقوم على أساس العمل لا البطالة . وينظم على أساس الانتاج لا الصدف ولا الاستغلال ولا السرقة ولا النهب ولا الخداع ولا المقامرة ولا السمسرة ولا الرشوة ولا التزلّم وبيع الضمائر ولا الربى ولا القتل والسلب ولا العدوان . نظام اقتصادي اجتماعي يكون فيه كل فرد من ابناء المجتمع عاملا ومنتجا ومبدعا . نظام اقتصادي يكون فيه كل مجتمع من المجتمعات الانسانية ناهضا ومنتجا وحضاريا .

أعدت هذه الدراسة سنة 1965 لشرح النظام الاقتصادي السوري القومي الاجتماعي في الحلقات التثقيفية الاذاعية في أوساط الطلبة في لبنان ونشرت في كتاب : " مفاهيم قومية اجتماعية " الذي صدر في البرازيل في 16 تشرين الثاني سنة 2009 للرفيق يوسف المسمار